وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـامـعـة غـردايـة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

الحياة الفكرية في المغرب الأوسط
الرستميون و الزيانيون نموذجا
- دراسة مقارنة -

مذكّرة مقدّمة لاستكمال متطلّبات شهادة الماستر في التاريخ
التخصص: تاريخ وحضارة المغرب الأوسط

إعداد الطالبة:
➢ فسيو نادية

الأستاذ المشرف :
أ/ بوعروة بكير

السنة لجامعية: 1435/1436هـ/2014/2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

اللهم لك الحمد والشكر في يقظتي وفي غفوتي، عدد ما خلقت وما رزقت يا رب إليك أهدي شيئا من جزيل عطائك اجعله في ميزان حسناتي، إلى أطهر روح في الكون خير الأنام ومنبع السلام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

إلى منبع الصبـر في حياتي والدّي العزيزين أطال الله في عمرهما

إلى زوجي وأبنائي الأعزاء.

إلى من أخذ بيدي ورسم الأمل لكل خطوة مشيتها،إلى كل من علمني حرفا

فصرت أخط هذه العبارات :

إلى جميع طلبة قسم التاريخ، خاصة طلبة الماستر دفعة 2015

إلى كل من عمل معي بجد بغية إتمام هذا العمل

وإلى من وسعهم قلبي ولم يسعهم قلمي أهدي لهم هذا العمل.

نـادية

شكر وعرفان

لقوله تعالى ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [سورة ابراهيم: الآية 07]

أحمد الله على منه وكرمه وتوفيقه لي في إتمام هذا الانجاز بكل صحة وعافية

اللهم صل وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أبدأ بشكر أستاذي الكريم بوعروة بكير

على الحرية التي تركها لي في العمل وعلى قبوله عملي وتأطيره لي

وعلى كل المتاعب التي تسببت له فيها وعلى مساندته ووقوفه معي

والذي لم يبخل علي بالمساعدة وبالنصح والإرشاد

فجزاه الله عني كل خير والشكر موصول

لمكتبة الشيخ بالحاج قشار ببنورة و مكتبة الشيخ دودو الحاج عيسى بن إبراهيم بن الحاج احمد بنورة و لأبواي الأستاذين مسعود كواتي وإبراهيم بحاز

وشكر خاص لكل أساتذتي خلال المشوار الجامعي إلى كل من أسهم من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل

لكم مني فائق الشكر والامتنان

قائمة المختصرات :

تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	الجزء
ص	الصفحة
ص ص	الصفحات
ط	الطبعة
تق	تقديم
ع	عدد

مقـــدمة

كانت بلاد المغرب الأوسط منذ فجر التاريخ مسرحا لتعاقب عدة حضارات وكيانات سياسية، لم تترك أي أثر في سكانها كونها تأسست على منطلق عنصري يتمثل في علاقة السيد بالعبد ولما جاء الإسلام بسماحته ومنّ الله عليهم بالفتح انصهروا مع الفاتحين واتبعوا عقيدتهم وتطبعوا بثقافتهم الإسلامية التي تحث على التعلم وطلب العلم، وفي القرن الثاني للهجرة وفي تمام عام 160هـ-777م تأسست أول دولة إسلامية مستقلة بهذه الأرض، تمثلت في الدولة الرستمية التي أسسها عبد الرحمان بن رستم الفارسي وكانت عاصمتها حاضرة تيهرت، وامتدت من البحر المتوسط شمالا إلى أقصى الصحراء جنوبا وشملت جبل نفوسة وجزيرة جربة بالمغرب الأدنى وقد تداول على هذه البلاد بعدها عدة دول على مدى ثلاثة قرون، حتى تأسست الدولة الزيانية على يد يغمراسن بن زيان وكانت عاصمتها حاضرة تلمسان التي تتموقع بين الدولة المرينية التي كانت تحدها من الغرب والدولة الحفصية التي كانت تحدها من الشرق أما من الشمال فكانت تحدها سواحل المتوسط وجنوبا الصحراء.

وقد تميزت كلاهما بحركة فكرية، وثقافية عظيمة خلدت ذكرهما إلى اليوم .

ولذلك جاء عنوان مذكرتي كالآتي :

الحركة الفكرية في المغرب الأوسط الرستميون والزيانيون نموذجا –دراسة مقارنة–

أما الإشكالية العامة للموضوع فكانت كالتالي:

ما هي طبيعة الحركة التجارية في المغرب الأوسط في كل من الدولتين الرستمية والزيانية كنماذج للدراسة؟ وما هي أوجه المقارنة بينهما ؟

الإشكالات الفرعية :

- فيما تتمثل المراحل التاريخية للدولتين؟ وما هي حدودهما السياسية؟
- ما هي عوامل ازدهار الحركة الثقافية فيهما؟
- فيما تلخص دور السلطة الحاكمة فيهما ؟
- وما هي العلوم المتداولة في كليهما ؟ .

- ومن هم أبرز أعلامها وأبرز مؤلفاتهم ؟
- ما هي أهم أوجه المقارنة بينها في هذا المجال ؟
- وفيم تجلت أوجه الشبه والاختلاف بينهما ؟

دوافع اختيار الموضوع:

تلخيص الحياة الفكرية في المرحلة الوسيطة من تاريخ المغرب، وذلك بإلقاء الضوء على وضعيتها في أول دولة خلال القرن الثاني والثالث للهجرة وصولا إلى آخر دولة فيه وتسليط الضوء على التطور والرقي الذي وصلت إليه كونها كانت وريثة لتراث ما قبلها من الدول مع إبقاء الخصوصية لكل دولة منهما .

- التعرف على أهم العوامل المساعدة على هذه النهضة الفكرية التي عرفاها كلاهما .
- الإطلاع على أهم ما تجلت فيه معالمها وبماذا تميزتا.
- الرغبة في اكتشاف أوجه الشبه والاختلاف بينهما والتعرف عليها ليس على سبيل المفاضلة أو التمييز السلبي، لأن العامل الزمني له دوره المنطقي في تفوق المتأخر منهما عن المتقدم فالأول حظ التطور و طرئ الجديد وللمتقدم فضل السبق و شرف الاستهلال لهدا فإن هذه الدراسة جاءت للقيام بدراسة موضوعية، الهدف منها معاينة الأحداث التايخية و التعرف عليها.

حدود الدراسة:

أ-الإطار المكاني:

شملت حدود الدراسة للدولة الرستمية وأهم حاضرتين لها تيهرت و نفوسة وبصفة عامة شملت البلدان المجاورة لها وبلاد المشرق التي خرج منها المذهب الإباضي. أما بخصوص الدولة الزيانية فقد شملت حاضرة تلمسان بصفة خاصة وجارتيها الحفصية والمرينية وبلاد العدوة وأحيانا بلاد المشرق على وجه العموم .

ب-الإطار الزمني:

1-الدولة الرستمية: من التأسيس 160هـ/777م إلى السقوط 296هـ/909م.

2-الدولة الزيانية: من التأسيس 633هـ/1236م إلى السقوط 962هـ/1554م

المنهج المتبع :

اعتمدت على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي في ذكر المراحل التاريخية لكيهما وحدودهما السياسية ووصف أوضاع الحياة الفكرية ومعالمهما زيادة على المنهج المقارن الذي اعتمدت فيه على التحليل والاستنتاج لاستخراج أوجه الشبه والاختلاف بينهما .

الخطة المعتمدة في الموضوع:

جاءت هذه الدراسة لإبراز معالم الحياة الفكرية في المغرب الأوسط على عهد الرستمين والزيانيين مع إجراء مقارنة بينهما، استهليت العمل بمقدمة ولذلك قمت بتقسيم العمل إلى ثلاثة فصوله في كل من الأول و الثاني ثلاثة مباحث أما الثالث فجاء في مبحثين .

تطرقت في الفصل الأول لدراسة الحياة الفكرية في الدولة الرستمية، حيث خصصت المبحث الأول لتاريخها السياسي وحدودها الجغرافية أما المبحث الثاني فكان عن العوامل المساعدة على إزدهار حركتها الفكرية وكان على شكل ثلاثة مطالب تمثلت في عناية السلطة بالعلم وإنتشار المؤسسات التعليمية وحركة التبادل الثقافي التي تمثلت في المناظرات والرحلة، أما المبحث الثالث فكان حول العلوم المتداولة فيهما، وأبرز أعلامها وكانت مطالبه حول العلوم النقلية والعلوم العقلية وحركة التأليف وكذلك الشأن بالنسبة لفصل الدولة الزيانية، أما فيما يخص الفصل الثالث وهو فصل المقارنة، فجاء في مبحثين الأول حول أوجه الشبه، والذي تحدثت مطالبه عن عناية السلطتين بالحياة الفكرية وبيوتات العلم فيهما، والتأثير المذهبي على كليهما، وتأثير التبادل الثقافي على مستوى الحياة الفكرية بهما .

أما المبحث الثاني والذي تثمل في أوجه الاختلاف، فتطرقت في مطالبه إلى المؤسسات التعليمية في كليهما، ودور المرأة في الحياة الفكرية وموضوع التصوف، وتأثير الظروف السياسية في الحياة الفكرية لكل منهما.

وأنهيت الدراسة بخاتمة قدمت فيها أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها من خلال الدراسة، وقد زودت هذه الدراسة بملاحق للتوضيح والاستدلال وقائمة للمصادر والمراجع وفهرسة للموضوعات.

لطالما كان موضوع الحياة الفكرية بالمغرب الأوسط، محور اهتمام الدارسين والباحثين ومن أهم من اعتمدت عليهم :

مجموعة من المصادر والمراجع أهمها :

- ابن الصغير الذي عاصر الرستميين الأواخر أخبار الأئمة الرستمين، يعتبر أهم مصدر اعتمدت عليه المصادر في تاريخ الدولة الرستمية.، تناول حياة الأئمة وعرج على انجازاتهم في جميع المجالات سيما فيما يخص الجانب الثقافي والفكري.
- وكتاب طبقات المشائخ للدرجيني المتوفى 670هـ وهو من جزأين له أهمية بالغة في تدوين التاريخ الاباضي كما له الفضل في تصنيف العلماء والمشائخ الإباضية .
- كتاب السير للشماخي المتوفى عام 928هـ: وهو كتاب مفصل لسير علماء الإباضية تراجمهم حتى نهاية القرن التاسع هجري .
- تاريخ ابن خلدون المتوفى 808هـ أو كتاب العبر الجزء السابع الذي تناول فيه تاريخ الدولة الزيانية بجميع مراحله وتاريخ الدولة الرستمية في الجزئين الرابع والسادس على شكل نتف سريعة .
- كتاب بغية الرواد ليحي بن خلدون المتوفى 756هـ الذي عاصر البلاط الزياني في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني ويعتبر من أهم المصادر في التاريخ الزياني .
- كتاب تاريخ بني زيان لعبد الله التنسي المتوفى 899هـ وهو مقتطف من نظم الدر والعقيان وقد تطرق لعلاقة الملوك بالعلماء وجهودهم في الحياة الفكرية.

- كتاب البستان لابن مريم المتوفى 771هـ الذي أخذت عنه معظم السير والتراجم لعلماء العهد الزياني .

المراجع : من أهمها :

- بحاز إبراهيم بكير الدولة الرستمية 160هـ-296م/777هـ-909م دراسة الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية: وهذا أهم مرجع مفصل لجميع عناصر الحياة الفكرية في الدولة الرستمية .
- عيسى الحريري الدولة الرستمية في المغرب الإسلامي.
- تلمسان في العهد الزياني لعبد العزيز فيلالي. من أهم المراجع التي قدمت تفاصيل عن الحياة الفكرية في العهد الزياني .

أما الدوريات والمجلات :

فمنها مجلة الأصالة ومجلة كان التاريخية .

أما عن صعوبات الدراسة فيمكن إجمالها فيما يلي :

1- قلة المعلومات التاريخية خاصة فيما يخص الدولة الرستمية حيث أنه بالرغم من كثرة الإنتاج الفكري، فإنه يركز في الغالب على الجانب العقدي أما الجانب التاريخي فقليل.

2- طول الموضوع وصعوبة السيطرة عليه إذ أن كل عنصر من شأنه أن يكون قائما بذاته .

3- صعوبة المقارنة التي تتطلب الإلمام حتى يمكن التحليل والاستنتاج وهذا ما تطلب جهدا كبيرا .

4- ومن أهم الصعوبات التي اعترضنني ضيق الوقت وذلك لوجود مسؤوليات أخرى غير التعلم كالعمل والأسرة .

الفصل الأول

الحياة الفكرية في الدولة الرستمية

المبحث الأول : تأسيس الدولة الرستمية وحدودها

المبحث الثاني: عوامل ازدهار الحركة الفكرية في الدولة الرستمية

المبحث الثالث: العلوم المتداولة وأبرز أعلامها

الفصل الأول : الحياة الفكرية في الدولة الرستمية

المبحث الأول : تأسيس الدولة الرستمية وحدودها

المطلب الأول : تأسيس الدولة الرستمية ومراحلها التاريخية

يرتبط قيام دولة بني رستم ببلاد المغرب الأوسط لمؤسسها عبد الرحمان بن رستم الفارسي[1] ويذكر ابن خلدون أن قدومه إلى بلاد المغرب كان مع طوالع الفتح الإسلامي هذه البلاد، فيقول : "وقدم عبد الرحمان بن رستم إلى إفرقية مع طوالع الفتح الإسلامي فكان بها"[2].أما سبب وفوده إليها أن أباه كان قد قدم إلى مكة حاجا بزوجته وابنه عبد الرحمان فمات فتزوجت زوجته رجلا من القيروان فأقبل مع أمه[3] .فشب فيها ونهل من علومها إلا أنه كان ميالا إلى تعاليم الإباضية فيقول ابن خلدون أنه تمثل ما استطاع تمثله من ثقافة القيروان ولكنه مال إلى تعاليم الخوارج، وأخذ بدين الإباضية منهم[4]، وقد تأثر بداعية الإباضية[5] ببلاد المغرب سلمة بن سعيد[6] الذي وفد من بلاد

---

[1]– محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، نشر وتوزيع دار الثقافة، ط1، 1406هـ/1985م، المغرب، ص 144 .

[2]– عبد الرحمان بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عناصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط2، دار الكتاب اللبناني، ج6، ص 246.أنظر : عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160-296)، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، ص 86 .

[3]– أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي، كتاب السير، تح محمد حسن، ج1، دار المدار الإسلامي، ط1، 2009، بيروت، لبنان، ص 124.

[4]– عبد الرحمان بن خلدون، ، المصدر السابق، ج6،ص 146.

[5]–الإباضية: فرقة من الفرق الإسلامية يرجع بروزها إلى النصف الثاني من القرن الأول، وتنسب إلى عبد الله بن اباض المري التميمي يصفه الدرجيني (إمام أهل الطريق ورئيس للإباضية من أهل البصرة وغيرها من الأقطار) انظر الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: ابراهيم طلاي، قسنطينة، الجزائر 1394هـ/1974م، ج1، ص 93 .

[6]–سلمة بن سعد: أول داعية للمذهب الاباضي ببلاد المغرب وهو الذي دل حملة العلم أو بعضهم على موضوع أبي عبيدة بالبصيرة، أنظر الشماخي، المصدر السابق، ج1، ص 212.

المشرق مع عكرمة[1] مولى ابن عباس الذي بدوره كان يدعو للمذهب الصفري ويذكر الدرجيني أن ابن رستم سمع ابن سعد يقول : "وددت أن لو ظهر هذا الأمر يوما واحدا أول النهار إلى آخره فلا آسف على الحياة بعده[2]، فقام عبد الرحمان مجتهدا في طلب ذلك الأمر"، حيث ذهب مع البعثة العلمية التي قصدت البصرة للأخذ عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة[3] وتضمنت أربعة وهم ابن درار اسماعيل بن درار الغدامسي، وعاصم السدراتي، وأبو داوود القبلي النفزاوي، والتحق بهم في البصرة أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني وكان عبد الرحمان بن رستم رابعهم.

أما مرحلة بناء الدولة فكانت على اثر استئناس بعض القبائل كهوارة وزنانة وضريسة وغيرها نوعا من الضعف في الخلافة الأموية، فتحركت رافعة شعار المذهب الاباضي[4]، إلا أن كل محاولاتها باءت بالفشل وكانت آخرها هزيمة عبد الخطاب بن الأعلى[5] على يد محمد بن الأشعث الخزاعي سنة 144ه الذي تمكن من القضاء على إمامته بطرابلس وغيرها فما كان من بن رستم إلا اللجوء بأتباعه إلى المغرب الأوسط عله يستطيع إنشاء دولة على المذهب الاباضي وعلى نسق دولة أبي

---

[1]-عكرمة: هو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس، جاء من البصرة على رحلة واحدة مع سامة بن سعيد استقرا في قيروان كان يدعو للصفرية ويذكر أنه اشتغل بالسافية، توفي بالمدينة انظر ياقوت الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب، تح إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993، بيروت، ص 62.

[2]— الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 06.

[3]-أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي: من طبقة تابعي التابعين كان مولى فيهم، وكان أعورا واشتهر بالقفاف، توفي زمن ولاية أبي حيطر المنصور، تعلم العلوم وعلمها ورتب روايات الحديث وأحكامها أخذ عنه خلف كثير وعنه حملة العلم إلى المغرب وإلى المشرق وحملة العلم، أنظر الشمامي، الطبقات، ج1، ص 199.

[4]— أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي، كتاب السير، تح محمد حسن، دار المدار الإسلامي، ط1، 2009، دار الكتاب الوطنية بنعازي، ليبيا، ص 43 .

[5]-عبد الخطاب بن الأعلى بن السمح المعافري: يمني الأصل لم ينتقل مع حملة العلم من بلاد المغرب بل التقى معهم في مكة وتنقلوا إلى البصرة ورجع معهم عند عودتهم إلى بلاد المغرب سمح له أبو عبيدة بأن يفتي بما سمع منه،أنظر الشماخي، السير، ص، ص 123-124.

الخطاب في طرابلس[1]فخرج مع ابنه عبد الوهاب وعبدهما متوجهين إلى المغرب الأوسط [2]وواصلو سيرهم حتى وصلوا إلى جبل سوفجج الذي يقول الباروني أنه كان عامرا بالإباضية أو كانوا قريبين منه[3] وقد توافدت عليه الاباضية من كل حدب وصوب خاصة نفوسة وطرابلس هذا ما أغرى بن الأشعث الذي تحرك نحوه بجنوده ضاربا حصارا عليه لكنه فشل فولى راجعا بعد أن فتكت بجيشه الأمراض حيث قال لجيشه: "إن سوفجج لا يدخله إلا دارع مدجج"[4]

وبعد أن أمن القوم على أنفسهم فكروا في بناء عاصمة لهم ويرجح بحاز براهيم أن يكون ذلك نهاية عام 155هـ وبداية 156هـ[5]، وكان ذلك بمدينة تيهرت[6] التي كانت لقوم اتفقوا معهم على إعطائهم قدرا معلوما من خراجها يأخذونه من غلته ، وفي الحين شرعوا في بناء المسجد الجامع[7]، وقصدها الإباضية من المغرب الإسلامي كله ولما أمنوا على أنفسهم وقوى جانبهم نصرفوا إلى تعيين إمام لهم، فلم يجدوا أفضل من عبد الرحمان بن رستم فولوه عليهم وبايعوه حتى يؤمنوا على أنفسهم[8]

---

(1)– عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1982، ج2، ص 539 .

(2)–الدرجيني: المرجع السابق، ج1، ص 35.

(3)–أبو الربيع سليمان الباروني، مختصر تاريخ الاباضية، تونس، ط2، 1938، ص 37

(4)–عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج3، ص 541.

(5)–إبراهيم بكير بحاز: الدولة الرستمية 160-296هـ/777-909م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط3، منشورات ألفا 1437هـ/2010م ط3، ص ص 94-95.

(6)–تيهرت: تقع العاصمة الرستمية على بعد 9 كيلومترات من تيهرت اليوم ويفصلها عن العاصمة 430كلم

(7)– نفس المرجع، ص ص 115.

(8)–ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستمين، تح، محمد ناصر، إبراهيم بحاز ، الجزائر، المطبوعات الجملية ، 1405هـ/1985م، ص 26 .

فزيادة على علمه ودينه وخلقه كان غريبا «لا قبيلة له يشرف بها ولا عشيرة تحميه»، وقد أحسن عبد الرحمان بن رستم السيرة في إمامته فلم ينقم عليه أحد وكانت الإباضية كلها مؤتلفة بين يديه لم يثر منها ثائر[1]، وبعد وفاته يويع ابنه عبد الوهاب 168هـ ورغم معارضة النكار لحكمة فقد استطاع على عهده يحفظ دولته قوية متماسكة طيلة فترة حكمه[2]، رغم الأزمات التي عصفت به خاصة ظهور حركة النكار[3]، ولما توفي بويع ابنه أفلح[4]سنة 208 فكان له ما كان لأبيه من التوفيق لخبرته العسكرية والسياسية التي استطاع بها إخماد العديد من الحركات المتمردة كالسمحية[5] والنكارية[6]، ودام حكمه 30 سنة بلغت الدولة في عهده أوج قوتها وازدهارها، توفي سنة 258هـ، بويع على أثره ابنه أبا بكر ولم يدوم حكمه إلا سنتين بسبب فتنة بن عرفة التي كادت أن تعصف بالدولة لولا تدخل أخيه أبي يقضان الذي بويع سنة 261هـ، ودخل تيهرت في 268هـ، بعد أن استطاع أن يهدئ الأمور ويعقد الصلح مع القبائل واستتب له الأمر ولكن مظاهر الوهن أخذت

---

(1)–الدرجني،المرجع السابق، ج1، ص 41.

(2)– بشير النابلسي : الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع هجري العشر ميلادي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2003، ص 44.

(3)–النكار:نسبة إلى يزيد بن فندين الذي أنكر إمامة عبد الوهاب بن رستم كما أطلب على التابعة أيضا النكاث لنكثهم بيعته والنجوية لإكثارهم الاجتماع والمجوى والشعبية سنة إلى الشعيب بن المعرف وإما المعنيين بالأطراف طلقوا على أنفسهم قسمية المحبوبين أنظر الشماخي، السير، ج1، ص ص 55-56 .

(4)–أفلح بن عبد الوهاب : حكم بين 208-258هـ من علماء الطبقة الخامسة، نظر إليه أبوه يوما وهو قائلا فقال انه يصلح للأم، أنظر الشماخي، ج2، ص 325 .

(5)–السميحة: تنسب إلى خلف بن السمح المصافري الذي خرج عن سلطة تاهرت بسبب توليه أبا عبيدة عبد الحميد الجناوني عاملا على جبل نفوسة فيما كان الأول ينوي خلافة أبيه في هذا المنصب وظلت هذه الحركة حتى القرن ال6 هـ أنظر الشمامي، السير، ص 57 .

(6)–ابن الصغير، المرجع السابق، ص 47 .

تظهر على الدولة فبعد وفاته بويع ابنه أبو حاتم سنة 281هـ ينازع مع عمه يعقوب بن افلح[1] على السلطة الذي تولى الحكم ثم تنازل عنه ليحكم أبي حاتم لسنتين ، ضل الصراع فيها محتدما على السلطة ليقتل سنة 294هـ ويتولى بعده اليقضان بن أبي اليقضان الذي لم يدم حكمه أيضا إلا سنتين إن سقطت الدولة على يد أبو عبد الله الشيعي[2]سنة 296 هـ .

المطلب الثاني : حدودها

تطل الواجهة الشمالية للدولة الرستمية على البحر المتوسط وتمتاز بساحلها الصخري الذي تتدافع عليه الأمواج التي تزيد من حدتها الرياح الغربية، وفي نفس الوقت توفرت في هذا الساحل ظاهرة الخلجان التي أقام عليها الرستميون موانئهم التي ربطت بلادهم بالأندلس[3].

ويقول البكري عن حدودها "وأصبح مجرى وادي ملوية[4] يمثل خط التقسيم الذي يفصل بين المغربين الأوسط والأقصى وعلى هذا فالحد الشمالي للمغرب الأوسط الذي صار دار للرستمين يبدأ من بجاية شرقا إلى وادي ملوية وجبال تازه[5] غربا[6].

---

[1]-يعقوب بن افلح : توفي 310هـ بعد الناجي الوحيد من الأسرة الرستمية بعد هجوم الفاطمين وسقوط الدولة إذا فر وأهله إلى سدراته بورجلان .

[2]-أبو عبد الله الشيعي: صاحب الدعوة الاسماعلية في بلاد المغرب، مكث مدة في قبيلة كتامة ببلاد المغرب تظاهر بأنه معلم صبيان ودعاهم لحب آل النبي يرجع الفضل لهذه القبيلة في تأسيس الدولة الفاطمية بالمغرب، أنظر أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم مطبعة جلول كريونال، الجزائر، ص 6 .

[3]-عيسى امحمد الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضاراتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160-296هـ، كويت، دار القلم للنشر والتوزيع، 1408هـ/1987م، ط3، ص ص 12-13 .

[4]-واد ملوية: نهر يقع شرق مراكش ويصب في البحر البيض المتوسط، أنظر مارمول كربخال، افرقيا، ج2، تر محمد حجي رنبير، محمد الأخضر، أحمد توفيق أحمد بن جلول مكنية المعارف الرباط 1984، ص 37.

[5]-تازة: مدينة مغربية قديمة أسس عبد المومن بن علي الموحدي سورها وشيدها المسجد الجمع الأعظم سنة 542هـ/1147م واتخذت كرباط حتى دخلها المرينيون سنة 614هـ/1217م.

[6]-أبو عبيد البكري 487هـ، المغرب في ذكر بلاد افرقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، الجزائر، زيتا قرافيك، 2011م

أما الحدود الجنوبية فقد وصلت إلى أعماق الصحراء الكبرى، والتي كانت ممرا للقوافل التجارية المارة إلى السودان الغربي عبر هذه المسالك، أما الحدود الشرقية فقد وصلت إلى قبيلة مزاتة التي تقطن خليج سرت شرق مدينة طرابلس بليبيا وقبيلة زويلة في صحراء فزان وأرض نفوسة التي كان ولائها للإمام تيهرت، وكذا أهل قسنطينة وقفصة والحامة في جنوب المغرب الأوني (افرقية) كلها كانت اباضية تخضع للإمام الرستمي بتيهرت [1].

وقد ذكر ابن الصغير عن هذه الحدود أن الإمام عبد الوهاب بلغت سمعته "إلى أن حاصر مدينة طرابلس وملأ المغرب بأسرة إلى مدينة يقال لها تلمسان [2].

[1]—عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 13 .

[2]—نفس المرجع، ص 14 .

انظر الملحق رقم 01

المبحث الثاني : عوامل ازدهار الحركة الفكرية في الدولة الرستمية

المطلب الأول : عناية السلطة بالعلم والمعرفة

كان أئمة الدولة الرستمية من العلماء الذين كرسوا حياتهم للعلوم واعتنوا بالفكر والثقافة وعملوا على إشاعتها بين رعيتهم دون استثناء ودون اقتصاره على طبقة من المجتمع دون أخرى أو تفريق بين جنس وآخر أو بين غريب أو قريب، إذا كان الإماء والعبيد يدأبون على نيل العلوم والنهل منها، حتى ألموا بأهم العلوم وأصعبها فيذكر أحد أفراد الأسرة الرستمية "معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا يعرف منزلة القمر"[1]،ويتحدث هنا عن علم الفلك وشيوعه خاصة في الأسرة الرستمية وكذا الحديث عن غزالة السودانية[2]،تلك الأمة التي كان الاهتمام بالعلم وكسبه سببا في عتقها، كما يذكر الوساني أن العلم فشا في جبل نفوسة وشاع حتى أن خدمهم وإمائهم إذا خرجن إلى الاستقاء لا يرجعن إلا إذا تذاكرن بينهم مسائل كتاب ماطوس[3] وفيه ثلاثمائة مسألة ومواعظ كتاب الأخوان[4]،وإذا كان هذا شأن الخدم فما بالك بالأحرار أما الغرباء فيذكر ابن الصغير أنه لما وصلت معونة أهل المشرق الأولى إلى عبد الرحمان بن رستم وأمنوا على أنفسهم ثم شرعوا في العمارة والبناء وإحياء الأموات وغرس البساتين وإجراء الأنهار، أتتهم الوفود من كل الأمصار وأقصى الأقطار ليس أحدا ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم ويقصد الديار والمساجد، فهذا مسجد القرويين وهذا مسجد البصريين وهذا مسجد الكوفيين[5]، وقد كانت المساجد أهم المراكز التعليمية في ذلك الوقت، دائما كانت تقام حلقات العلم والوعظ وبهما تقام المناظرات وهذا ما يعكس رحابة الحكام الرستميين وكفالتهم لحرية التعليم حتى من يخالف منها، إذا كان هدفهم الأول نشر العلم والانتفاع منه فقد كان من شروط تولي الإمامة عند الاباضية أن يكون الإمام المبايع عالما محيطا، وقد كانت لهم جهود شتى

---

[1]– الدرجيني، المرجع السابق، ص 56.

[2]–براهيم بحاز، المرجع السابق، ص 448.

[3]–ماطوس: عالم اباضي توفي في موقفه مانو سنة 283هـ، أنظر ابراهيم بحاز الدولة الرستمية، ص 448.

[4]–نفس المرجع، ص 448.

[5]–ابن الصغير، المرجع السابق ص 26

في نشر العلم وبناء المساجد وجلب الكتب من المشرق[1]، كما كانوا يقومون بالخطابة وإلقاء الدروس بالمساجد وتعليم الناس وذلك دأب عبد الرحمان الذي تنسب له المصادر الاباضية كتابين على الأقل أحدهما في التفسير والثاني في الخطابة[2]، حيث يذكر أن الإمام عبد الوهاب في عهده قضى سبعة أعوام بجبل نفوسة في تلقينها مسائل الصلاة، كما ألف كتاب نوازل[3] نفوسة جبل كما احتوى هذا الكتاب في عهد البرادي فتاوى وجوابات الإمام أفلح وابنه أبي يقضان، كما ساهم الإمام عبد الوهاب في إثراء مكتبة تيهرت بكتب المشرق فأرسل لإخوانه بالبصرة ألف دينار فاقتضى نظرهم أن يشتروها ورقا وتطوعوا بالمداد وأجرة النساخ حتى أكملوا له ديوانا عظيما .

كما حث الإمام أفلح على قراءة الكتب فقال عليكم بقراءة كتب المسلمين لا سيما كتاب أبي سفيان محبوب بن الرحيل[4]، كما اشتهر الإمام أبا بكر يحب الآداب والأشعار والأخبار الماضيين[5]،وإذا كان كذلك فمن المؤكد أنه شجع عليها واهتم بها، كما تحدثت المصادر الاباضية على الإمام أبي اليقضان ونسب إليه تأليف في الاستطاعة قيل أن فيه أربعين كتابا، وقد سأل الإمام يعقوب بن افلح آخر أئمة بني رستم والناجي منهم عما إذا كان يحفظ القرآن فقال معاذ الله أن ينزل على موسى وعيسى ما لم أحفظه وأعرف معناه فكيف بكتاب أنزله الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كما يشير الأستاذ بحاز مستندا إلى رأي أبي زكرياء والدرجيني بأن البيت الرستمي كان بيت علم في مختلف الفنون من الأصول والفقه والتفاسير وفنون الدين والرد على المخالفين وعلم اللغة والنجوم والإعراب والفصاحة، وقد كان للعلوم الدينية الحظ الأوفر زيادة على ملكتهم لعلم الحساب[6].

---

[1]—براهيم بحاز، المرجع السابق، ص 318.

[2]—ابراهيم بحاز:بالمرجع السابق، ص 320 .

[3]–نوازل: شرحها الورجلاني بأنها ما ينزل على العبيد بما ليس لهم عهد به من كتاب الله ولا سنة رسوله فيسوغ لهم الاجتهاد بني مخطئ ومصيب والكل مجهول عنهم، أنظر بحاز ابراهيم، الدولة الرستمية، ص 322.

[4]—نفس المرجع، ص ص 322-325 .

[5]—ابن الصغير، المرجع السابق، ص 41.

[6]—بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص ،ص 327-329.

المطلب الثاني : انتشار المؤسسات التعليمية

إن المشجع لسير الأئمة الإباضية من خلال كتب الطبقات يجد أن الوسيلة التي لجئوا إليها لنشر دعوتهم بدأ بأبي بلال[1] هي عقدهم لمجالس تعليمية[2]، وبعد أبو عبيدة واضع الأسس الأولى لنظام التعليم فمن خلال الروايات، نجده قد كان مشرف على مجالس متنوعة كان يعقدها وأخرى كان يشرف عليها إما لتكوين الدعاة أو للرد على أسئلة وفتاوى السائلين منها.

المجالس التي كان يعقدها في الحج ويذكر الدرجيني[3]،كان بمنى خباء[4] أبو عبيدة ...وفي خباء مشائخ أهل حضرموت فقهاء علماء، وكان يقيم بعد الحج أياما ليجيب الوفود التي تأتيه عن مسائلها[5]، وهذا النوع من المجالس لا يعتبر خاصا لأنه قد يخلفه فيه غيره فيذكر الدرجيني[6]، أنه قد خلفه صمام بن سالب وخاصة لأنه قد يخلفه فيه غيره فيذكر الداجيني أنه قد خلف صمام بن سالب والربيع بن الحبيب[7].

وهناك مجالس خاصة كان يشرف عليها بنفسه ولا يذكر أنه أناب فيها أحد، كان يعلم فيها طلبة العلم أو الدعاة الذين قدموا من أقطار بعيدة يسمون بحملة العلم في سرب[8] متخفين وقد

---

[1]-بلال:و "مرداس بن حدير" ويكنى بأبي بلال. وسمي مرداس بن أديه نسبه إلى أدية أمه أو جدته وقد شهد معركة صفين مع الإمام عليهو وأخوه عروة وفارقه مع أهل النهروان بعد التحكيم وكان من العدد القليل الذين نجوا من القتل في معركة النهروان .قال عنه ابن الأثير: الكامل في التاريخ – الجزء الثاني ص.517

[2]—سامية مقري، التعليم عن الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام الغرابة (296-409هـ/909-1018)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006م.

[3]—الدرجيني، المرجع السابق، ج2، ص، ص 242-243 .

[4]-خباء: من الأبنية جمعه أخيبة، أين منظور لسان العرب، ج3، ص 380.

[5]—سامية مقري، نفس المرجع، ص 11.

[6]—الدرجيني، المرجع السابق،ج2، ص 210

[7]-الربيع ابن الحبيب: هو "الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي"، ويلقب "بأبي عمرو البصري" وهو ثالث أئمة العلم عند الإباضية. يقول عنه رجل الدين الإباضي الشماخي (المتوفى: 928 هـ) في كتابه السير (طود المذهب الأشم، وبحر العلم الخضم).أنظر الشماخي السير ،

[8]-سرب: يتخذه الاباضية كمكان للتعليم، وهو حفير تحت الأرض وقيل بيت تحت الأرض والجمع أسراب، أنظر ابن منظور لسان العرب، سامية مقري، ص 4.

عكف على إعدادهم وتكوينهم لإرسالهم إلى البلدان الإسلامية وركز على المناطق التي كانوا مستاءين من الحكم الأموي بهدف إعلان إمامة الظهور[1] بها [2] .

ومن هؤلاء حملة العلم إلى بلاد المغرب الذين تكونوا في مرحلة الدعوة السرية أو المرحلة التقية[3] قصد نشر المذهب في بلادهم وقد عين عبد الخطاب بن الأعلى سنة 140ه إماما للدفاع وقاد ثورات للوصول لإمامة الظهور التي تحققت على يد عبد الرحمان بن رستم سنة 160ه، وتورد المصادر أن عاصم السدراني اشتغل بالدعوة في مجال حر غير مقيد، فكان ينتقل بين المدن والقرى والأحياء الضاربة يركب ناقته وينتقل بين الأحياء يعلم الناس في مضاربهم كما يذكر أنه أتخذ مصليات عدة في الطريق الذي سلكه ولا يشير إن كانت للتدريس أو الصلاة فقط [4].

أما أبي ضرار الغدامسي فقال أنه بعد قتل عاصم اعتزل القضاء واشتغل بالتدريس في بلدة غدامس فلحق به طلاب عاصم وأصبحوا يحسون عليه، وكذا بالنسبة لأبي داود القبلي[5]،ولكن المصادر لم توضح أين جرت عملية التعليم والتدريس وأي نوع من المؤسسات التعليمية التي تم بها

وأيضا عمر بن يمكتن النفوسي الذي تورد المصادر أنه أول من علم القرآن بجبل نفوسة بمنزل يقال له افاطمان[6]، إذا كان يتعلم القرآن من السابلة العرب إذ يكتب عنهم في لوحة وينصرف وما إن يحفظ ما كتب يعود ويعيد الكرة حتى تمكن من حفظ القرآن وبعدها عكف على تعليمه[7].

وابن مغيطر الجناوني الذي تتلمذ على يدي أبي عبيدة وعندما عاد إلى موطنه كان من الدعاة المعلمين الذين عملوا على نشر المذهب وجلسوا للإفتاء لكنه توقف عنه بعد قدوم حملة العلم الخمسة

---

(1)-إمامة الظهور:تعني الإمامة المستقلة وفي هذه المرحلة يختار الإباضية إمامهم الذي يجب أن يحكمهم وفقا للقرآن و السنة وسيرة الخلفاء الراشدين أنظر عمرو النامي،دراسات عن الإباضية دار الغرب الإسلامي،بيروت 2001 ،ص276 .

(2)—علي يحي معمر، الاباضية في موكب التاريخ، دار توات للثقافة، ج1، ص 27 .

(3)-التقية: الكتمان أو إخفاء الشخص لمعتقده خوفا من القمع أنظر عمرو النامي:دراسات عن الإباضية ،ص282 .

(4)—علي يحي معمر، الاباضية في موكب التاريخ،مؤسست تاوات الثقافية، ج1، ص 125.

(5)— نفس المرجع، ص 127.

(6)—بحاز ابراهيم، المرجع السابق، ط3، ص ص 278-279 .

(7)—سامية مقري، المرجع السابق، ص 27.

وفسح المجال لمن أخذ عن أبي عبيدة بعده إلا أن المصدر لم يوضح الذي كان يرتادها للتعليم وأي مكان كان يجلس فيه لتحفيظ القرآن والفتوى [1].

ولعل هذا الغموض الذي كان ينتاب مراكز التعليم وقتها كان السبب فيه الدعوة السرية إذ كانت الدعوة في مرحلة سرية وإمامة الدفاع لكن عندما تمت البيعة لعبد الرحمان بن رستم وانتقلوا لإمامة الظهور صاروا يعقدون مجالس علمية وحلقات بالمساجد حسب ما ورد في المصادر الاباضية[2].

المساجد: لقد كان أول ما بدأ به عبد الرحمان بن رستم عندما شرع في بناء مدينة تأويه وبناء المسجد الجامع وقد ذكر البكري أنه من أربع بلاطات [3]، ولم تكن وظيفة المسجد تقتصر على الصلاة بل كانت تتعداه إلى عدة أمور أخرى كالوعظ والارشاد والفتوى والتعليم الذي هو لب موضوعنا وكانت الدراسة تتم في مجالس تعرف بالحلقات العلم ويذكر بحاز ابراهيم أن الدراسات الدينية من تفسير وحديث وفقه وغيرها من العلوم المختلفة كانت تلقى في المساجد مواعظ للعامة ودروسا للخاصة كما ذكر أن الإمام عبد الوهاب مكث بجبل نفوسة سبع سنوات يلقى دروسه في مسجده المعروف بميري وذلك حسب رواية الشماخي[4]، وكان العلماء يحثون التلاميذ على ذلك وكانت مساجدهم كثيرة الحلقات بحيث يقول ابن الصغير "كانت مساجدهم عامرة وجامعهم يجتمعون فيه"[5]، وذلك بقصد نشر المذهب وإظهار قوته بكثرة علمائه الذين يتخرجون من تلك الحلقات [6].

---

[1]—مقرين البغطوي، سيرة مشائخ نفوسة ،تحتوفيق الشقروني، موسسة تاوالت الثقافية ج1 ،ص43،

[2]—سامية مقري، المرجع السابق ص 40 .

[3]—أبو عبد الله البكري، المغرب من ذكر بلاد افريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى بغداد مطبعة الحكومة، الجزائر، 1857، ص 126 .

[4]—بحاز ابراهيم، المرجع السابق، ص 137 .

[5]—ابن الصغير، المرجع السابق ، ص 13.

[6]—بحاز ابراهيم، المرجع السابق، ص 137 .

الكتاتيب: رغم سكوت المصادر الاباضية عن الإشارة مباشرة إلى وجود الكتاب في الدولة الرستمية عدا بعض التلميحات البسيطة التي ذكرها الأستاذ بحاز في أحد هوامش كتابة الدولة الرستمية حيث ذكر أنه توجد إشارة خفيفة في سير أبي زكرياء إلى الكتاب كمكان للتعليم في القرن الرابع هجري حيث أخذ الاباضية أن أبوه أدخله الكتاب فقرأ وحفظ، كما ذكر أن الدرجيني بدل كلمة الكتاب بالمؤدب.

ويعد الكتاب المؤسسة الأولى للتعليم فقهيا يلقى الصبيان مبادئ اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية بطريقة التكرار والترديد وقد كانت الكتاتيب تنشأ إلى جانب المساجد وتفصل عنها وذلك لصغر سن الصبيان الذين لم يبلغوا سن الرشد بحيث يحترزوا من النجاسة بينما من شروط دخول المسجد الطهارة كما كانت الدروس تكتب على ألواح من خشب وقد عرفت الدولة الرستمية بكثرة المساجد وبالتالي كثرة ملحقاتها من الكتاتيب .

المكتبات : اعتنى الرستميون بجمع الكتب النادرة وجلبها من أي مكان، وكان أئمتهم جميعا علماء، وقد عملوا على اقتناء الكتب من المشرق لتغذية الحياة الفكرية وذلك دأب الإمام عبد الوهاب عندما بعث ألف دينار إلى المشرق فنسخوا له بها كتب تعادل حمل أربعين جملا زيادة على مؤلفات أئمة الدولة وعلمائها وبهذه الكتب تكونت مكتبة تيهرت التي تذكر المصادر الاباضية أنها صومعة[1]، مملوءة كتبا في مختلف الفنون والمعارف .

كما كانت بجبل نفوسة التابع للدولة الرستمية مكتبات أخرى أشهرها خزانة نفوسة الواقعة بشروس والتي كانت تجمع الآلاف من الكتب [2].

[1]—الدرجيني، المرجع السابق، ج1، ص 94.

[2]—بحاز ابراهيم، المرجع السابق، ص 347 .

المطلب الثالث: التبادل الثقافي

أ- الرحلات: عمل الرستميون على توثيق علاقتهم الثقافية بمختلف البيئات العلمية والاحتكاك بمراكز الثقافة في العالم الإسلامي لأن ذلك من أهم العوامل التي تبعث النشاط والحيوية في الحياة العلمية وتغذيها سواء مع المشرق الإسلامي أو مع جيرانها من بلدان المغرب وقد ساهمت في ذلك عوامل أخرى سياسية واقتصادية ودينية كأداء ركن الحج الذي من خلالهم كانوا يطلعون على العلوم الشرعية، وكان لقوافل الحجاج اتصال بمشائخ المشرق وعلمائه، إلا أن موسم الحج لم يكن الوسيلة الوحيدة انهل العلوم واكتسابها من المشرق بل كانت الرحال نشد إليه يقصد طلب العلم كرحلة الشاعر بكر بن حماد إلى البصرة وبغداد والفقيه عبد العزيز بن الأوز كما زار نفاث بن نصر النفوسي بغداد ونسخ بها ديوان جابر بن زيد الأزدي وقدم به إلى جبل فوح[1]، كما تشير المصادر إلى زيارة الإمام أبي اليقضان إلى المشرق وسجنه به، حيث تعلم فنون السياسة والحكم فنالت أيامه شهرة تضاهي شهرة جده عبد الرحمان .

وكان المشارقة يقدمون إلى تيهرت كأبي غانم بشير بن غانم الخرساني صاحب المدونة المشهورة في الفقه التي أودع نسخة منها في مكتبة المعصومة [2]، كما كانت الكتب والمؤلفات تجلب من المشرق وكذا الفتوى كما حدث في إمامة عبد الوهاب وحجه.

أما في علاقتها مع دول المغرب فقد ساعدت الحركة التجارية النشطة التي شهدتها تيهرت على نشر العلوم التي كانت تأتي مع قوافل التجار كما كان هناك اتصال مباشر مثل مع القيروان من طرف العرب كمحمود بن بكير[3] والاباضية كأبي عبد الله فضل وسعيد الصائي وغيرهم[4].

---

[1]– نفسه ص 394.

[2]–الشماخي، السير، ج1ص 228.

[3]–محمود بن بكير: عالم الفقه كان يرد على الفرق في مقالاتهم ويؤلف الكتب في الرد عليهم، أنظر ابن الصغير، ص 93.

[4]–جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

أما علاقتها بفاس فلم تذكر المصادر شيئا عن علاقتها بالرغم من الحركة العلمية الغزيرة التي عرفتها ولذلك فلا يستبعد أن يكون بينهما تبادل فكري، وبالنسبة لعلاقتهم ببني مدرار بسجلماسة فقد ذكرت المصادر عن تأثير المذاهب الاباضي في العاصمة الصفرية وتواجد بعض علمائه كابن الجمع أستاذ أبي الربيع سليمان بن زرقون النفوسي.

وكذا بالنسبة للأندلس التي اشتهر علماؤها بحبهم للعلوم الدينية واللغوية فقد وفد منها العديد إلى تيهرت كالغازي بن قيس وزياد بن عبد الرحمان اللخمي وعباس بن ناصح وقد جالسوا علماء المالكية في تاهرت وكانت لهم مناظرات مع الاباضية وبالرغم من عداء بني أمية لمذهب الخوارج التي كانوا يرونها بدعا فقد اختلف الأمر مع الاباضية بسبب اعتدال منهجهم واقترابه من المذهب المالكي[1].

ب- **المناظرات** : حظى المالكية في دول الخوارج بتسامح إلى أبعد الحدود حتى أن بعض شيوخهم تولوا المناصب العامة في تاهرت في أواخر حكم بني رستم[2]، وقد تحدث ابن الصغير المالكي عن الحرية التامة التي تمتع بها المالكية في ممارسة شعائرهم في كافة مساجد تيهرت، فيما عدا المسجد الجامع[3]،كما يروي عن محاوراته ومساجلاته مع مشايخ الإباضية في كثير من المسائل الفقهية والمذهبية دون أن يتعرض لإرهاب وبطش[4]، أما الواصلية فكان يقيم منهم بتهرت ما يقارب الثلاثين

---

[1]—المرجع السابق، ص ص 167-168

[2]—الشماخي، السير، ج1 ،ص 263، علي يحي معمر، الخوارج في بلاد المغرب، ص 249

[3]—أبو زكرياء بن ابي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، الجزائر، 1984، ص57

[4]—علي يحي معمر، المرجع السابق ص 294

ألف[1]، وقد كان يحدث بين شيوخ وزعماء الاباضية من المحاورات على غرار ما كان يحدث بالشرق بين زعيمهم واصل بن عطاء[2] وبين أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة شيخ اباضية الشرق[3].

كما يذكر الشماخي أن فقهاء المعتزلة بزوا مشايخ الاباضية في تيهرت حيث أخذوا الإمام عبد الوهاب في مساجلاتهم معه، فلم يستطع محاجاتهم في كثير من المسائل الجدلية المتعلقة بالعقائد والشرائع بدليل استعانته بمشايخ المذهب في جبل نفوسة .

[1]—ابن صغير، المصدر السابق، ص 23.

[2]–واصل بن عطاء:(ت 80 – م 131)أبو حذيفة واصل بن عطاء مؤسس الاعتزال، المعروف بالغزّال. يقول ابن خلّكان: «كان واصل أحد الأعاجيب ذلك أنّه كان ألثغ، قبح اللثغة في الرّاء فكان يخلّص كلامه من الرّاء ولا يُفطَن لذلك، لاقتداره على الكلام وسهولة ألفاظه. أنظر جعفر السبحاني الملل والنحل ، ج 3 ، ص 222 .

[3]—الدرجيني، ،المرجع السابق ج1، ص 105.

المبحث الثالث : العلوم المتداولة وأبرز أعلامها

المطلب الأول : العلوم النقلية وأبرز أعلامها

أ-**التفسير**: وقد عرف المسلمون منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وقد عكف علماء تيهرت شرح الألفاظ القرآنية وتفسير معانيها حتى إلى البربرية وقد تطلب ذلك منهم بهذا في نشر العقيدة الإسلامية على طريقة المذهب الاباضي ومن أبرز علمائه محمد بن يانس الذي وافق عهد الإمام عبد الوهاب وتفسير عبد الرحمان بن رستم وهو دين محكم الهواري وأبي الربيع الذي تناظر مع ابن الصغير في مسألة المحيض[1].

ب-**الحديث**: لم يبرز الرستميون في هذا المجال مثلما فعلوا في غيره إذ كانوا يعتمدون على مؤلفات علم الحديث إباضية المشرق كمسند الربيع ابن الحبيب الأزدي الفراهيدي العناني أما علما الدولة الرستمية فقل اهتمامهم بهذا العلم باستثناء قلة منهم كعمروس بن فتح المساكني وأبا عبيدة الأعرج وكذا عبد الرحمان بن حماد بن مسك بن اسماعيل الزياني التاهرتي الذي أخذ عنه قاسم بن اصيع كما اخذ عنه ابنه عبد الرحمان بن بكر، وقاسم بن عبد الرحمان التميمي التيهرتي [2].

ج-**الفقه**: انكب الرستميون على هذا العلم فبرز منهم العديد من الفقهاء من القضاة والمفتين وقد زاد من اجتهادهم فيه فتحهم لباب المناظرة وقد يرز فيه أئمتهم خاصة للإمام عبد الوهاب وقلة من الفقهاء كأبي عبيدة الأعرج الذي كان مشهودا له بالعلم والفصل وعبد العزيز بن الأوز وعيسى بن فرناس النفوسي وبن الصغير الهواري، وأبو الربيع سليمان وعثمان بن أحمد وكذا ابن أبي ادريس أحمد التيه، وأبي العباس بن فتحون وعثمان بن الصفار وأحمد بن منصور كما رشح عبد الرحمان بن رستم جملة الفقهاء لخلافته وهم أبا المرفق سعدوس بن عطية، شكر بن صالح الكتامي ومصعب بن

---

[1]—ابن الصغير، المرجع السابق، ص 118 .

[2]—بحاز ابراهيم، المرجع السابق، ص، ص 309-312

سدمان، ومسعود الأندلسي وأبا قدامة يزيد بن فندين، وعمران بن مروان الأندلسي ولهذا فإن الفقه كان أكثر العلوم الدينية حضا عند الرستميين الذين تسابقوا إلى معرفته واجتهدوا فيه [1].

المطلب الثاني : العلوم العقلية وأبرز أعلامها

أ-**العلوم الإنسانية** :

1-**علم الكلام** : كان هذا العلم شائعا في بغداد إبان القرن الثالث الهجري ولعل ما حدث من اشتقاقات في المذهب الاباضي وظهور فرق جديدة كالنكارية والخلقية والنفاثية التي كانت لها آراء خاصة كانت محورا الجدل وإزاء ذلك ظهرت الوهبية للرد على مخالفيها الذين خرجوا عن تعاليم الدين الاسلامي في نظرها ومن اشهر المناظرين في ذلك العهد المهدي النفوسي صاحب المناظرة الشهيرة مع الواصلي وقد اثرت تلك المناظرات الحياة العلمية في تيهرت [2].

2-**اللغة العربية**: وجدت عناية من الحكام الرستميين ذلك لتعليمها للبربر حتى يحسن اسلامهم ويطلعوا على شؤون دينهم وقد ساعد على انتشارها المهاجرين العرب الذين سكنوا تيهرت من بصريين وكوفيين كما هاجر إليها العديد من أهل القيروان وقد كان لكل منهم مسجد ورحية[3].

3-**الأدب والشعر**: اهتم الرستميون بالعلوم الدينية على حساب العلوم الأخرى كالأدب العربي الا انه لم يكن مفتوحا فيذكر ابن الصغير أن الإمام أبا بكر كان محبا للآداب والأشعار[4]،وظهر النثر في البيت الرستمي من خلال الوصايا والخطب والرسائل الديوانية كرسالة الامام افلح الى نفاث بن نصر كما خلف قصيدة شعرية جميلة يحث فيها على طلب العلم في الشعر أيضا نبغ الشاعر بكر بن حماد الزيابي.

---

[1]—بحاز ابرهيم، المرجع السابق، ص ص 313-320 .

[2]—نفسه، ص، ص 392-393

[3]—بحاز ابراهيم :المرجع السابق، ص 406.

[4]—ابن الصغير، المرجع السابق، ص 356 .

4-**النحو**: لم يكن للرستميين باع في النحو ويرجع ذلك لأصولهم البربرية فقد كانو يحاولون التحدث بالعربية على اكبر تقدير دون النظر الى النحو والقواعد[1]، ولكن هذا لا يعني انعدام المهتمين بهذا المجال فقد برز فيهم أبو عبيدة الأعرج وأبو محمد عبد الله بن محمد المكفوف النحوي[2].

5-**التاريخ**: برز اهتمام بنو رستم بالتاريخ من حديث ابن الصغير عن الإمام أبي بكر الذي قال عنه ابن الصغير أنه كان مهتما بأخبار المأميين ومن أشهر علمائهم في هذا المجال نذكر لواب بن سلام صاحب كتاب شرائع الدين وابن الصغير المالكي الذي ترجم للأئمة الرستمين في كتابه (أخبارالأئمة الرستميين)[3].

ب-**العلوم الدنيوية**:

1-**الطب**: يعبر عن هذا العلم من العلوم الضرورية التي رافقت الإنسان منذ نزوله إلى الأرض وقد عمل على تطويره والإجتهاد فيه ولما كانت الدولة الرستمية من أكبر الحواضر العلمية فلا يعقل أن يكون بها أطباء مهرة رغم إغفال المصادر عن ذكر رواد هذا المجال إلا أن ابن الصغير يرجح أن يكون له رواد بها حتى وإن كانوا من أجناس أخرى كاليهود والنصارى[4]،

2-**الحساب والفلك**: كان هذا العلم هواية البيت الرستمي ومن أبرزهم فيه الإمام أفلح الذي بلغ فيه مبلغا عظيما وأخته التي فافته براعة حين تسامرت معه وأخذوا يحسبون أول ما يتيح في الغد فكان كما قالت[5]، وقد سبقهم جدهم عبد الرحمان الذي كان يعلم أن سلالته تسلي أرض المغرب أما أخر إمام رستمي وهو يعقوب بن افلح فقد نظر في النجوم وعلم أن أسرته انقرضت أيامها وزال ملكها إلى يوم القيامة، ولم يتوقف هذا العلم على صعوبته عندهم إذ قال أحد أفراد هذه الأسرة معاذ

---

[1]—بحاز ابراهيم، المرجع السابق، ص ص 414-418

[2]—ابن الصغير، المرجع السابق، ص 31.

[3]—بحاز ابراهيم، المرجع السابق، ص ص 435-436 .

[4]—ابن الصغير:المرجع السابق، ص ص 46-57.

[5]—أبي زكرياء ،المرجع السابق، ص 100 .

الله أن تكون لنا أمة لا تعرف منزلة القصر[1]، أما عالم الفلك فقد استخدم لغرضين الأول ديني وهو معرفة أوقات العبادات من صلاة وصوم وغيرهما والثاني دنيوي يتعلق بالأعمال التجارية ومعرفة الجهات الأربعة وسير القوافل وكذا التنبؤ بالأحوال الجوية .

المطلب الثالث: الإنتاج الفكري في الدولة الرستمية

إن النهضة العلمية التي نشدتها الدولة الرستمية تكللت بإنتاج فكري واسع كان على رأسه مؤلفات أئمتها و رؤوس سلطتها، فيروى أن عبد الرحمان بن رستم كان له ديوان خطب نفس ذكر الورجلاني أنه رآه وله رسائل متعددة وحوايات كثيرة في فنون العلم بعضها موجود والبعض الآخر مفقود، أما الإمام عبد الوهاب فقد صنف كتابا سماه مسائل نفوسة والمصادر كما تكلمت المصادر الاباضية عن الإمام أفلح بعلم الحساب والفلك والتنجيم[2]، وذكر الباروني أن له عدة مؤلفات ورسائل وأجوبة جامعة لمواعظ وحكم[3]، وكما ظهر التأليف في العلوم النقلية حيث ألف للمفسر لوابين سلام كتابا أيضا في التفسير سماه شرائح الدين وكما ألف هود بن محكم الهواري[4] كتابا أيضا في التفسير يقع في سفرين كبيرين[5]، أما في الحديث فلم يؤلف الرستميون فيه سوى ما قام به نفاث بن نصر من نسخ ديوان جابر بن زيد كما ألف أبو عبد الرحمان بكر بن حماد بن سمك مسنده الذي رواه عن مسدد بن مسرهد وهو أحد محدثي البصرة، كما عزم عمروس بن فتح المسامني على وضع تصنيف بفضل فيه بين الأحكام المستخرجة من الكتاب والتي من السنة ثم التي من الرأي والاجماع إلا أنه قتل فيل وضع هذا الكتاب المهم[6]، وهذا لا يعني أنه لم يخلف شيئا من الإنتاج الفقهي فقد ترك

---

[1]–بحاز ابراهيم ، المرجع السابق، ص 383 .

[2]–عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 237.

[3]–سليمان الباروني، الأزهار الرياضية، ص 101.

[4]–هود بن محكم الهواري: كان أبوه قاضيا للإمام أفلح، أنظر بحاز ابراهيم الدولة الرستمية، ص 360، ويقول عنه الشمامي هو عالم متفنن غامض وهو صاحب التفسير المعروف، وهو كتاب جليل في نصر كتاب الله، لم يتعرض فيه للنحو والإعراب بل على طريقة المتقدمين، أنظر الشماخي، السير، ص 381 .

[5]–بحاز ابراهيم،المرجع السابق، ص 360.

[6]–الدرجيني، المرجع السابق ، ج2، ص 321 .

عدة تصانيف في الفقه، منها في الأمور التي لا يسع الناس جهلها ومنها في الأصول والفروع ككتاب العمروسي وكتاب أعلام الصلة، وكتاب الحكم والمعارف وكتاب الدينونة[1].

وبالرغم من قوة الحركة الدينية والفقهية التي شهدتها الدولة الرستمية وبالرغم من كثرة علمائها وفقهائها في هذا المجال الذين ذكرتهم كتب الطبقات والسير إلا أنه مثلما يذكر الأستاذ بحاز (لم نجد لأغلب العلماء الذين ترجمنا لهم تأليف فلعلها أحرقت أو أصابها البلى والتلف نتيجة إخفائها عن العيون وعدم إظهارها لغير الإباضية، ويورد قول ابن خلدون عن نفوسة لقد ترامت إلينا في هذا العهد من تلك البلاد دواوين ومجلدات من كلامهم في فقه الدين وتمهيد عقائده، وفروعه ضاربة بسهم في إيجادة التأليف والترتيب[2].

أما في المناظرات التي اشتهرت بها الدولة الرستمية فنجد كتاب مهدي النفوسي الذي ألفه في الرد على نفاث بن نصر، كما كان لأبي سهل النفوسي دواوين شعر بالبربرية لم يبقى منها إلا أخبارها وديوان أبو يعقوب يوسف بن محمد الذي قيد فيه أشعار الأشياخ بالبربرية، وكتاب يهودا بن قريش الذي يعتبر أول واضع لأسس النحو التنظري إذ حاول المقارنة بين العربية والبربرية[3]، وكتب أبو محمد عبد الله بن محمد المكفوف النحوي التي ألفها في اللغة والعروض، وفي الشعر ألف الشاعر التيهرتي بن حماد الزياني قصائد شعرية، رفيعة المستوى وقصيدة الإمام افلح، كما كانت المعصومة تحتوي على عدد من كتب الفلك والحساب، الذي شاع في العهد الرستمي وأتقنه آل بيته ومن هنا يتجلى لنا أن الرستميون شهدوا حركة تأليف واسعة ودلت عليها الحركة الثقافية والعلمية التي وصلت إليها إلا أن بعضها كان موجود وأغلبه للأسف مفقود .

---

[1]—بحاز ابراهيم، االمرجع السابق، ص 390 .

[2]— نفسه، ص، ص 391-392 .

[3]—بحاز ابراهيم المرجع السابق، ص، ص 415-420 .

انظر الملحق رقم 02-03 .

الفصل الثاني

الحياة الفكرية في الدولة الزيانية

المبحث الأول : تأسيس الدولة الزيانية وحدودها

المبحث الثاني: عوامل ازدهار الحركة الفكرية في الدولة الزيانية

المبحث الثالث: العلوم المتداولة وأبرز أعلامها

المبحث الأول : تأسيس الدولة الزيانية وحدودها

المطلب الأول : تأسيس الدولة الزيانية

يرجع الفضل في تأسيس بنو عبد الواد للدولة الزيانية إلى عدة ظروف وعوامل مكنتهم من ذلك ومن أهمها ما يلي:

تمكن بنوا عبد الواد من الوصول إلى حكم منطقة المغرب الأوسط بنفس الطريقة التي وصل بها الحفصيون لحكم افرقية، فكان كلاهما في الأصل من ولاة الموحدين وأتباعهم ولما ضعف سلطانهم ووهن حكمهم سطت الجماعات القوية على ما تحت أيديهم وقد تمثلت هذه الجماعات في ثلاث قوى متفرقة المرينين في المغرب الأقصى والزيانيين في المغرب الأوسط والحفصيين في المغرب الأدنى، ولقد تمكن بنو عبد الواد من كسب ثقة الموحدين بفضل بطولاتهم الحربية وشجاعتهم الأدبية وحنكتهم السياسية[1].

ولقد جاءت هذه القبيلة في بادئ الأمر إلى مقاومة الموحدين ولما عجزت استعملت البراعة السياسية فنالت بذلك خطوة كبيرة عند ملوك الموحدين حيث أقطعوهم بلاد بني وامنوا وبني بلومي بنواحي واد ميناس وأحواز غليزان، فتمكنت بذلك من تثبيت قدمها بتلك الجهات محافظة على مكانتها ووحدتها الذاتية والسياسية، وقد استمر ولاؤها للموحدين وخدمتها لهم إلى أن استأنست منهم ضعفا فتطلعت إلى التملك فحملوهم على التنازل لهم على إمارة تلمسان[2] [3].

أما مصير الحكم إليهم مباشرة فيرجعه يحي بن خلدون إلى الحسن بن حيون الكومي المصايد يعامل تلمسان الذي أساء جوارهم ثم أغرى أبي سعيد عثمان والي المدينة بالقبض على كارهم لو لا أن شفع لهم إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي، شيخ مرجلة لمتونة لكن شفاعته ردت فحملته

---

[1]—ابن خلدون ، العبر، ج7، ص 105 .

[2]–تلمسان:اسم عاصمة الدولة الزيانية ، وهي كلمة من شطر بن (تلّمُ) ومعناه تجمع و(سان) ومعناه اثنان وبذلك يصير معناه تجمع اثنين الصحراء والتل بمعنى انها تجمع بين طبيعة النل وطبيعة الصحراء لوقوعها في مكان ملائم لذلك، انظر أحمد سليمان، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 85 .

[3]—نفس المرجع، ج7، ص 84 .

العصبية على قتل الحسن بن حيون ثم سرح بني عبد الواد واعتقل مكانهم باسعيد وخلع طاعة الموحدين لينقلب على مشيخة بني عبد الواد حاول قتلهم بمكيدة حاكمها ضدهم لكنهم تفطنوا لها واعتقلوه[1]، ومن هناك دخل جابر بن يوسف[2] تلمسان وأعلن الدعوة للمأمون[3] وبعث إليه معلنا الطاعة[4]، فذهب له المأمون بولاية تلمسان وتسير أمورها وما يليها من بلاد زنانة[5] سنة 627هـ/1229م[6]إليه، وكانت هذه الخطوة الأولى نحو تأسيس الدولة الزيانية التي ظلت تدعى بدولة بني عبد الواد حتى سنة 760هـ حيث أمر السلطان الزياني أبي حمو الثاني، وقد مرت الدولة الزيانية بأربعة أدوار متعاقبة على مدار ثلاثمائة سنة وهذه الأدوار تمثلت في :

الدور الأول : دور النشأة 633هـ-706هـ/1235-1306م

ويبدأ هذا الدور منذ تولي يغمراسن الحكم بتلمسان إلى نهاية الحصار المرينة الطويل على مدينة تلمسان سنة 706هـ/1306م الذي شهده ولي عهده أبو سعيد عثمان الذي بويع بعد وفاة والده وقد توفي سنة 703هـ/1303م ليتولى مكانه ابنه أبوزيان محمد[7]، وقد شهد الدور الثاني الذي مرت به الدولة الزيانية .

---

(1)—محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني ملوك تلمسان، تح محمد آغا بو عياد، موقع وزارة الثقافة، الجزائر، 2011، ص ص 112-113.

(2)-جابر بن يوسف:هو جابر بن يوسف بن محمد بن زيدان من بني عبد الواد بعد مؤسس الدولة العيد الوادية بتلمسان توفي سنة 629هـ، انظر ابن خلدون، العبر ج7، ص 98.

(3)-المأمون: هو إدريس المأمون بن يعقوب المنصور أخو العادل أبو عبد الله من ملوك الدولة الموحدية، محمد عبد الله بن عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، ط1، 1384هـ/1964، ج2،ص 358.

(4)—يحي بن خلدون، بغية الرواد، تق،وتح عبد الحميد حاجيات ، المكتبة الوطنية الجزائر،1980 ج1، ص 106-107 .

(5)-زناتة: من قبائل البتر البربرية ويرجع أصلها إلى شأنه أو جناتة بن يحي بن صولات بن ورماك بن دري بن زميك بن مادنيس بن بر، وتنقسم إلى عدة فروع: بنو عبد الواد، بني مرين، بنو ترجين، أنظر أبو إسحاق إبراهيم الاسبط قري، كتاب المسالك والممالك، تح جابوا عبد العالي ومحمد شفيق غربال، دار القلم، القاهرة، 1961، ص 36، وعبد الرحمان بن خلدون، العبر، ج7، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص 4-12 .

(6)—عبد الحميد حاجيات، أبو موسى الزياني (حياته آثاره) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 12

(7)—أبو الوليد اسماعيل ابن الأحمر: ت 810هـ تاريخ الدولة الزيانية، تح هاني سلامة، مصر، مكتبة الثقافية الدينية، 1421هـ/2001، ط1، ص 70

الدور الثاني : دور التوسع 706هـ-737هـ/1307م-1337م

ويبدأ هذا الدور من نهاية الحصار المريني الأول إلى سقوط الدولة الزيانية بيد المربيين سنة 737هـ وقد حكم خلال هذه المرحلة زيادة على أبي زيان شقيقه أبوموسى حمو الأول الذي خلفه ابنه أبي ناشفين عبد الرحمان الأول سنة 737هـ/1338م[1]، وشهدت هذه المرحلة عدة توسعات نحو الحفصيين في الشرق حتى وصلوا عاصمتهم تونس فلم يكن منهم إلا أن تحالفوا منهم مع المرينيين وينتهي هذا الدور بمحاصرة أبي الحسن المريني[2] لعاصمتهم تلمسان ما بين 736هـ،737هـ/1336م،1337م وسيطرته عليها.

الدور الثالث: دور النهضة : 737هـ-791هـ/1338م-1389م

في هذه المرحلة أعيد احياء الدولة على يد الأميرين أبي سعيد وأبي ثابت بعد أن هزما السلطان المريني، ثم تولى الحكم بعدهما السلطان أبو حمو موسى الثاني سنة 760هـ/1389م عمل على اعادة تلمسان لسابق عهدها خلال حكمه الذي دام لأكثر من ثلاثين سنة تخللتها العديد من الهجمات والمؤامرات المرينية والتمرد الذي شنه عليه ابنه أبو عثمان أبي تاشفين الأول للإطاحة به حتى تمكن من قتله على يد جيشه سنة 791هـ/1390م[3].

الدور الرابع : الانحدار والسقوط: 791هـ-962هـ/1390م-1555م

بدأ يتولى أبو تاشفين الحكم بعد أن تغلب على أبيه بمساعدة المرنيين الذين بقي تابعا لهم[4] ومنذ ذلك الوقت أصبحت طريقته للوصول للحكم سنة متبعة في البيت الزياني حيث كثرت صراعاتهم للوصول إلى الحكم فكانوا يستعينون بالمرنيين والحفصيين حتى وصلت مدة حكم بعضهم

---

[1]—يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص، ص 213-215.

[2]- أبو الحسن المريني: هو علي بن سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، حكم مابين 731هـ إلى غاية 749هـ، توفي سنة 752هـ، ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 111.

[3]—ابن الأحمر، المصدر السابق، ص ص 81-82

[4]—عبد الرحمان بن خلدون، العبر، ج7، ص 300.

لأشهر أو لأيام[1]، حتى برز خطر الأسبان الذي أخذ يهدد السواحل المغربية فاستمرت الدولة الزيانية في الضعف والانهيار إلى أن انتهت على يد العثمانيين سنة 955هـ/1555م .

المطلب الثاني : حدودها

يقول الحسن الوزان عن حدود الدولة الزيانية التي يدعوها بمملكة تلمسان يحدها وادي زا ونهر ملوية غربا والواد الكبير (الصمام) وصحراء نوميديا جنوبا، وتمتد مملكة تلمسان على مسافة ثلاثمائة وثمانين ميلا من الشرق إلى الغرب لكنها تضيق جدا من الشمال إلى الجنوب إذ لا تتعدى المسافة خمسة وعشرين ميلا في بعض النقط، من البحر المتوسط إلى شموخ صحراء نوميديا، ذلك هو السبب الذي من أجله لم تنتأ هذه المملكة تتضرر من تعسفات الأعراب القاطنين بالجزر المجاورة للصحراء[2]، وهذه عينة من حالات المد والجزر التي عرفتها حدودها، إذ لم تكن ثابة ومستقرة بل كانت تتقلص حينا وتتسع أحيانا حسب اسعداد بني زيان وقوتهم العسكرية والاقتصادية واستقرارهم وأمنهم ووحدة أمرائهم وانسجام قبائلهم وولاتها الصادق [3].

فحدودها الشرقية عرفت تطور منذ تولي السلطان أبي سعيد عثمان عرش تلمسان وهذا تطبيقا لوصية والده[4]، كما ركز معظم السلاطين الزيانيين اهتمامهم على توسيع إقليم دولتهم على حساب الحفصيين فامتدت بذلك الحدود الشرقية لدولتهم حتى جبال الزان (أكفادو) الناجم لإمارة بجاية[5]، واستقرت عند واد بجاية أو الواد الكبير .

أما الحدود الغربية فقد امتازت بثباتها واستقرارها، واستطاع بنو زيان أن يحافظوا عليها ورسموا معالمها الطبعية المتمثلة في واد ملوية ووادي (صبا)وفجيج في الغرب والجنوب الغربي إلى بلاد تاوريرت

---

[1]—عبد الرحمان بن خدلدون ،المرجع السابق، ج1، ص 303

[2]—الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقية، تر محمد حجي، محمد الأخضر، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1983م، ط2، ج1، ص 43 .

[3]—عبد العزيز فيلابي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، موقع للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 43.

[4]—عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ج2، ص 472

[5]—عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 175-156 ويحي بن خلدون ، بغية الرواد، ج1، ص 10.

وبالنسبة للحدود الشمالية فترسمها سواحل البحر الأبيض المتوسط بينما بلغت في الناحية الجنوبية إلى النواحي ورجلان وغرداية توات .

المبحث الثاني : عوامل ازدهار الحركة الفكرية في الدولة الزيانية

الطلب الأول: عناية السلطة الزيانية بالعلم والمعرفة.

تميز سلاطين وأمراد بني زيان بنزعة علمية قوية منذ تأسيس الدولة الزيانية إن كانوا يشجعون العلماء ويحتفون بهم ويضعون لهم مكانة خاصة سواء كانوا من الدولة أو من الوافدين إليها ولا دليل على ذلك ما لاقاه علماء الأندلس من استقبال وترحاب[1]، ولعل هذا التجليل كان عاملا من عوامل استقطاب العلماء وطلاب العلم من كل حدب وصوب ولعل البادرة الأولى ظهرت مع السلطان الأول بغمراسن حيث كان حريصا على استقدام رجال العلم وتشجيعهم على التدريس والتأليف وذلك بإغرائهم بالأموال والهدايا، ويظهر ذلك في استقرار الشيخ العالم أبو اسحاق ابراهيم بن يخلف التنسي[2] وأخوة أبو الحسن، كما استقدم العالم أبو بكر بن الخطاب الحرسي الأندلسي[3] الذي كان يتنافس السلاطين في استرضائه لحنكته السياسية وجعله كاتبا له، ونفس الشأن لابنه أبو سعيد عثملن الذي احتفظ بمن كان في بلاط ابيه من العلماء وأضاف إليهم الشاعر الصوفي أبي عبد الله بن محمد بن حميس[4] وقلده خطة الكتابة، أمات السلطان أبو حمو موسى الأول فقد جعل تلمسان مدينة تلمسان منارة للعلم يقصدها العلماء وأهل الفكر[5]، إذ رحب بالأخوين ابني الإمام

---

[1]—عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 300.

[2]–ابراهيم بن يخلف التنسي:هو اسحاق ابراهيم بن يخلف عبد السلام التنسي وليد تنس عرف بالفقه المالكي له مشاركة في العلوم النقلية والعقلية، توفي بالعياد، انظر ابن مريم أبو عبد الله محمد بن أحمد، البستان من ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان وقف على طبعة واعتني بالمراجعة أصله محمد بن ابي شنب، الجزائر العاصمة، المطبعة التعالية، 1918، ص 66.

[3]–ابو بكر بن الخطاب الحرسي الأندلسي:

[4]–أبي عبد الله بن محمد بن خميس:هو محمد بن عمر بن محمد بن حميس الحموي التلمساني ولد سنة 560هـ، مات بغرناطة سنة 708هـ، نظر ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ،نش ،محمدبن أبي شنب، تق عبدالرحمان بن طالب ،ديوان المطبوعات الجزائرية ،ص 225.

[5]—عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 321.

وافدي برشك[1] وابتنى لهما أول مدرسة أسست بتلمسان بجانبها دارين لسكناهما واختصهما بالفتوى والشورى [2].

كما اجتهد السلطان أبو ناشقين في استرضاء العلماء فغرب أبا موسى عمران المشدابي اليجابي وجعله يتصدر للتدريس بالمدرسة الناشفينية وقرب أسرة بني الملاح الشهيرة وقاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن منصور، فزيادة على القضاء ولاه كتابة السر والخطابة في المسجد الجامع [3]

بالإضافة إلى تشجيع السلاطين للعلماء وتقريبهم فقد كانت لهم جهود ومساهمات شخصية في إثراء الحياة العلمية مثل السلطات أبو حمو موسى الثاني(723هـ-791هـ) الذي كان ملما بالعلوم وألف كتاب في السياسة والشعر سماه واسطة السلوك في سياسة الملوك [4].

أما السلطان أبو زيان محمد الثاني (796هـ-801هـ) فيقول المقري فأقام سوق المعارف على ساقها وأبدع في نظام مجالسها واتساقه افلاح للعلم في أيامه الشموس[5]، كما شجع على التليف ونسخ الكتب وحبسها بخزانته التي شيدها بالجامع الأعظم بتلمسان .

أما السلطان أحمد العاقل (834هـ-866هـ) فرغم التوترات التي شهدها عصره فقد كان يشجع التصنيف ويحضر دروس العلماء وبني مدرسة بزاوية الحسن مخلوف ابركان .

---

[1]-برشك: هي إحدى مدن المغرب الأوسط في العصر الوسيط، كانت تقع على شاطئ البحر بين شرشال ومتنس، أنظر حسن الوزان، وصف إفرقية، ص 54.

[2]-احمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني ملوك تلمسان، تح محمد آغا بو عياد، موقع وزارة الثقافة، الجزائر، 2011، ص 139.

[3]-المقري التلمساني، المرجع السابق ،ج7، ص 499.

[4]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 305.

[5]- نفسه، ج2، ص 324 .

المطلب الثاني: انتشار المؤسسات التعليمية

يعتبر العصر الزياني من أزهي العصور التي ازدهرت فيها الحياة الثقافية والتعليمية بالمغرب الأوسط حتى أصبحت تلمسان مركزا للإشعاع العلمي وفيلة العلماء والمتعلمين ولعل العامل الرئيسيلهذا النجاح هو انتشار المؤسسات التعليمية التي انتشرت في هذا العهد بشكل كثيف، ميزه عن سالف العهود التي عرفها المغرب الأوسط وتتمثل هذه المؤسسات فيما يلي :

أ. **الكتاتيب:** وهذه المؤسسة من أقدم المؤسسات التعليمية وجودا في العالم الإسلامي فقد كان الصبيان يتلقون فيها مبادئ اللغة كالقراءة والكتابة وحفظ القرآن وكانت الكتاتيب في الغالب من قبل الخواص أو تستأجر من قبل المعلمين [1].

وقد كان هذا النظام السائد عند الزيانيين ولأنها تغيرت بعد توافد علماء الأندلس واستقرارهم بها وكذلك بعودة بعض شيوخ تلمسان من المشرق وإفرقية مثل بني الإمام والمشدالي حيث أدخلت بعض المواد الجديدة كرواية الشعر وقوانين اللغة العربية [2].

وقد تميز الكتاب ببساطته حيث كان بغرش بالحصر الذي يجلس عليه الصبيان مشكلين حلقة حول المعلم وكانوا يكتبوا على ألواح مسطحة وبأقلام مصنوعة من القصب وكانت عطلتهم يومي الخميس والجمعة[3] .

ب. **المدارس:** ظهرت في المغرب الأوسط خلال القرن الثامن وقد عمل السلاطين الزيانيين على بناءها وتشييدها وذلك لنشر العلم والثقافة من جهة ولتوجيه الرعية مع ما يتماش ومصالح الدولة من جهة أخرى، وقد كانوا يشرفون عليها بأنفسهم، ومن المدارس التي لعبت دورا هاما في تنمية الحركة العلمية وإثراء التراث الثقافي نذكر عينة مما شيده سلاطين بني زيان[4].

---

[1]—عبد الرحمان بن خلدون، العبر، ج2، ص 422.

[2]—عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 346.

[3]—عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني، حكايته وآثاره، موقع للنشر، ج1، ص، ص 169-170.

[4]—التنسي، المرجع السابق ،ص، ص 159-160.

- مدرسة بني الإمام : تعتبر أول مدرسة في الدولة الزيانية شيدها السلطان أبو حمو موسى الأول تكريما لها سنة 710هـ/1310م وعين للتدريس بها كبار العلماء[1].
- المدرسة التاشفينية: وقد بناها أبو تاشقين ابنه عندما صارت الأولى لا تكفي لتضخم عدد الطلبة وقد كانت تدعى بالتاشفينية في حياته ثم أصبحت تدعى بالجديدة
- المدرسة اليعقوبية : التي بناها أبو حمو الثاني تكريما لوالده كما كان يطلق عليها مدرسة سيدي إبراهيم المصمودي الذي دفن بها، وتبقى هذه مجرد عينات عن المدارس الزيانية الكثيرة .

ج. **المساجد**:احتلت المساجد المرتبة الثانية في الترتيب المؤسسات التعليمية فعلاوة على العبادة فقد كانت فيه حلقات العلم والوعظ وتنظيم فيه المناظرات وقد اعتنى السلاطين ببنائها وأوقفوا عليها الأحباس الكثيرة وقد اشتهر هذا العهد بالكثير منها مثل :

1- مسجد سيدي أبو الحسن : بناه السلطان أبي سعيد عثمان تكريما للعالم سيدي أبي الحسن بن يخلف التنبي وبعد هذا المسجد من أروع المساجد الزيانية وتحول اليوم إلى متحف المدينة[2].

2- مسجد أولاد الامام : شيده السلطان أبو حمو موسى الأول حوالي سنة 710 وكان تابعا لمدرستهما [3].

3- المسجد الجامع: يعود تأسيسه إلى ما قبل عبد الأدارسة، وقد قام السلطان يعمراسن بترميمه وبناء مننته ولاتزال آثاره قائمة بتلمسان [4].

كما عرفت الدولة الزيانية غيرها الكثير مثل مسجد سيدي الحلوى والمسجد الأعظم يتاقرارت.

---

[1]—محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور،دورها في سياسة وحضارة الجزائر، الجزائر ،ديوان المطبوعات الجزائرية، ص 122.

[2]—محمد الطمار، المرجع السابق، ص 115.

[3]—التنسي، المرجع السابق،ص162.

[4]—عبد العزيز فيلالي،المرجع السابق ، ج1، ص 146.

د. **الزوايا** : وهي من المؤسسات التعليمية الهامة في بلاد المغرب، وهي عبارة عن بناية ذات طابع ديني ثقافي تقام فيها الصلوات الخمس، فضلا عن الدروس التي كانت تلقى بها [1]، كما كان يسمح للطلبة بالإقامة فيها وكانت تقام الأحباس عليها ومن أشهر الزوايا التي ظهرت

1-زاوية السلطان أبي يعقوب:بناها أبو حمو موسى الثاني على ضريح والده بجانب المدرسة اليعقوبية.

2-زاوية سيدي أبي الحسن: يشدها السلطان أبي سعيد وهي ملحقة بمسجد سيدي أبي الحسن[2].

3-زاوية سيدي ابي مدين بالعياد: شيدها السلطان أبي الحسن المريني.

زيادة إلى الكثير من الزوايا التي عرفتها الدولة الزيانية والتي ساهمت في نشر العلم وتحفيظ القرآن.

هـ.**المكتبات**: ظهرت هذه المؤسسة في ذلك العهد كغيرها من حواضر العالم الإسلامي وقد غذت الحركة العلمية ونمتها وقد انتشرت وكثر نظرا للإنتاج العلمي الوفير الذي كانت تزخر به الدولة في ذلك الوقت لذلك اهتم السلاطين بإنشائها وتزويدها بكل جديد في مجال العلم والمعرفة ومن أشهرها في ذلك العهد :

1- مكتبة أبي حموا الثاني: تأسست على يمين محراب الجامع الأعظم سنة 760هـ/1399 وكانت تزخر بمجموعة قيمة من الكتب[3]، ولكن تم هدمها وبذلك فقد ما كان بها من الكتب عام 1850

2- مكتبة السلطان أبو زيدان محمد الثاني: تأسست بالقسم الأمامي بالجامع الكبير سنة 796هـ وقد احتوت على كتاب (الاشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة)، وقد عرفت الدولة الزيانية الكثير من المكتبات التي اجتهد ملوك بني زيان بتعميرها حكمة للمتعلمين وأوقفوا عليها الأحباس .

---

[1]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج1، ص 148.

[2]–التنسي، المصدر السابق، ص 248.

[3]–نفسه، ص 123.

المطلب الثالث: التبادل الثقافي

أ-**الرحلة:** كان التنقل بين الأمصار في سبيل طلب العلم والنهل ضل أمرا شائعا بين طلاب العلم في كل العالم الإسلامي، خاصة بعد النهضة العلمية التي عرفها في القرون الهجرية الأولى، وكانت هذه الطريقة من أهم وسائل التعلم واكتساب المعارف حيث يتلقى المتعلم مباشرة من المشائخ على اختلاف طرقهم ومناهجهم، ولأن هذه الطريقة هي الأقوى رسوخا للمعلومات وأسرع إدراكا لها[1]، فقد شد الطلبة في الدولة الزيانية الرحال إلى الحواضر العلمية الإسلامية المغربية منها والمشرقية بهدف توسيع معارفهم وتنقيحها، وهنا حصل التلاقح الفكري ودعمت الروابط الثقافية بين علماء تلمسان ونظرائهم في العالم الإسلامي ومن أشهر علماء الرحلة في العهد الزياني خاصة إلى المشرق ابن مرزوق الحفيد إضافة إلى رحلات الأسر العلمية كأسرة آل عقبان، وآل التنسي وآل الشريف وغيرها[2]، ولعل من أهم العوامل التي ساهمت في تنشيط الرحلات العلمية فريضة الحج الذي تلتقي فيه وفود المسلمين من كل صوب وحدب وهناك يحدث التلاقح بين الثقافات التي كانت تغذي بعضها البعض.

وقد أشاد العلامة الزياني محمد بن إبراهيم الآبلي بفضل الرحلة واعتبرها أصل العلم، وبهذا ترسخ المعارف أكثر في ذهن الطالب وتساهم بقدر كبير في نضوج فكره، وكلما زاد الشيوخ الذي يتلقى بهم الطالب كلما عظمت فائدة الرحلة[3].

ب-**المناظرات:** من النشاطات العلمية التي ميزت هذه الفترة المناظرات العلمية بكل أنواعها ويبدو أن أكثر ما شجع عليها هو إشراف ملوك بني عبد الواد عليها قصد تشجيع التنافس العلمي واستقطاب العلماء من كل البلاد، ولقد كانت تجرى على عدة مستويات فقد تكون :

---

[1]—عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ص 605

[2]—عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 329.

[3]—بن مريم، المصدر السابق، ص ص 216-217.

محلية أو داخلية: وهي التي يكون فيها طرفي الجدال من الدولة مثل مناظرة العالمي عبد الرحمان بن الإمام وعمران المشدالي حول الفقيه ابن القاسم[1] بين التقليد والاجتهاد، وقد تمت هذه المناظرة بين يدي السلطان أبي تاشفين عبد الرحمان وقد رواها القاضي عبد الله المقري، ومناظرات ابن مرزوق الحفيد مع قاسم العقباني حول السلطة السلفية السنية أما الإمام قاسم العقباني فهو زعيم المتصوفين[2]، وهذه أمثلة على المناظرات المحلية .

- أما فيما يخص المناظرات الخارجية فهي التي كانت تجرى مع علماء المغرب الإسلامي والمشرق ومع غير المسلمين وكانت تظهر رفعة المستوى العلمي الذي بلغه علماء تلمسان ومن هذه المناظرات :

- **المناظرة مع المغرب الأقصى**: مثلا التي جرت بين سعيد العقباني مع والقباب حول موضوع مسائل الإيلاء[3] ومناظرتهما حول موضوع صندوق التعاون لدفع الضرائب .
- **المناظرة مع المشرق الإسلامي**: فمن أشهرها مناظرة بني الإمام مع ابن تيمية وقد ذكرها المقري تلميذهما قائلا وقد سمعت أنهما نفس الدين بن تيمية فظهر عليه لكن المصادر لم تشر إلى موضوع المناظرة، إلا أنه يرجح أنها كانت حول موضوع الطلاق الثلاث، حيث رأى أنه لا يقع في لفظ واحد وقد عارضه جمهور العلماء كما ارتحل إليه بنو الإمام وناظروه في حضرة ممثل السلطان وظهر عليه وقد زاد هذا الانتصار في شهرته بالمشرق وذاع صيتهما فيه[4].

وإذا كان هذا الشأن في الإطار الإسلامي نجده تعداه إلى غير المسلمين، حيث أجرى الإمام سعيد العقباني مناظرة مع يهودي باحث في العلوم الإسلامية حول عموم الرسالة المحمدية .

وما يستخلص من هذه المناظرة التسامح الديني الذي عرفه العلماء الزيانيون والتعايش مع الديانات الأخرى .

---

[1]–بن قاسم: هو عبد الله عبد الرحمان بن القاسم ولد سنة 132هـ من أشهر تلاميذ مالك، صحية 20 عاما وقد جمع بين العلم والزهد شهد له أئمة الحديث بالثقة بفضله انتشر مذهب مالك في المغرب توفي بالقاهرة سنة 191هـ، أنظر ابن فرحون الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب تح محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ج4، ص 409.

[2]–المهدي ابو عبدلي، مجلة الأصالة عدد 1975/26، ص 127.

[3]–الإيلاء: هو يمين على ترك الجماع بشرائط مخصوصة، فهو حلف بيمين يلزم بلحنث فيها حكم على ترك وطء الزوجة أكثر من أربعة أشهر.

[4]– التنسي، المرجع السابق، ص 139.

انظر الملحق رقم 05.

المبحث الثالث: العلوم المتداولة وأبرز أعلامها

المطلب الأول: العلوم النقلية وأبرز أعلامها

أ-العلوم الدينية :

1-**الفقه:** كانت الدولة الزيانية تتبع المذهب المالكي وتعمل على إرساله ونشره ولأنه كان مذهب أهل الحجاز التي كانت قبلة أهل المغرب أكثر من غيرها، فقد عكفوا على انتهاجه وإتباعه وقد ارتحل الكثير من المغاربة إلى المدينة المنورة وتتلمذوا عن الإمام مالك أو تلاميذه ورووا عنه الموطأ وألفوا في فقهه[1]، وقد جلب العالم أبا على ناصر الدين المشدالي الزواوي تلخيص بن حاجب إلى بجاية وتلمسان[2]، التي قام الكثير من فقهائها باختصاره وشرحه والتعليق عليه إلى جانب المدونة والتهذيب والموطأ وغيرهم من كتب الفقه التي امتثلا بها الخزانين في العهد الزياني ومن أشهر فقهاء العهد الزياني أبو زيد عبد الرحمان بن الإمام الذي ألف شرحا وافيا لابن الحاجب كما صنف سعيد بن محمد العقباني عد مؤلفات أهمها شرح البردة، وشرح مختصر بن الحاجب الأصلي وقد عرفت الدولة الزيانية العديد من الفقهاء كأبو عبد الله بن عمرو التميمي وأحمد بن أبي جملة التامساني وغيرهم [3].

2-**التفسير**: اهتم الزيانيون بهذا العلم فقد عكفوا على دراسة القرآن وحفظه وتفسيره وبتلمسان كان القراء يتزاحمون على مجلس أبي احاق التنسي لاقراءه التفسير والحديث وقد ظهر عدد هائل من المفسرين الذين اشتغلوا بعلم القرآن ومن أهمهم: أبو عبد الله بن مرزوق (الجد) وأبو عبد الله الشريف التلمساني وأحمد بن زاغوا الذي ألف مقدمة في التفسير وغيرهم كثيرا[4].

3-**علم الحديث**: أصبح هذا العلم من أهم العلوم الدينية بعد القرآن في جميع الأقطار الإسلامية والزيانيون كغيرهم أولوا اهتماما كبيرا بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوسعوا في دراستها فكانت

---

[1]—ابن خلدون، المقدمة، ص 808.

[2]—عبد العزيز فيلالي،المرجع السابق، ج2، ص 456

[3]—ابن مريم، المصدر السابق، ص،ص 41-42.

[4]—عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2 ، ص 45

تعقد لعلم الحديث مجالس عديدة بعد الصبح بحضورها الشيوخ والطلبة وعامة الناس[1]، وقد برز عندهم شيوخ كثيرون منهم: أبي اسحاق التنسي صاحب شرح الحاصل وأبو زيد عبد الرحمان بن عتيق البلولي، وابن هدية وأبو عبد الله بن علي بن قطرال كما صنف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب تعليقا على صحيح البخاري والأربعين الصحاح، وشرح الكتاب عمدة الاحكام سماه تسير الصرام في شرح عمدة الأحكام [2].

1-**اللغة العربية** : حضيت الدراسات اللغوية باهتمام العلماء الزيانين وأدبائهم واهتموا بالبلاغة لإرتباطها الوثيق بالعلوم الدينية كما عرفت حركة دواوية في مجال العلوم اللسانية وفروعها وقد شهد هذا العهد انتاجا فكريا هائلا يتعلق بالنحو والصرف مثل كتاب سويه وألفه بن مالك والمغني لإبن هشام، والشروح الثلاثة على البردة، والإستعاب والمفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخزرجية في العروض والقوافي وظهر لعويون وحفاظ اشتهروا بالحفظ في مجال النحو، فبرز عبد الكريم المغيلي في تدريس العربية [3]، وفي هذا المجال برز جمهور من العلماء القطاحل لا يتسع المجال لذكرهم وإنما هذه مجرد عينات عنهم .

2-**الأدب**: وقد عرفه الزيانيون بنوعيه: الشعر وهو الموزون المقتنى والنثر وهو الكلام الغير موزون وقد شاع أسلوب السجع والمحسنات البديعية حتى في المراسلات والمكاتبات والخطب وقد برزت مجموعة من الكتاب منهم : أبا بكر بن خطاب الأندلسي الذي وصفه ابن خلدون بالمترسل البليغ[4]، ومحمد بن هدية القرشي ويحي بن خلدون وغيرهم، وقد انقسمت الرسائل إلى ثلاثة أنواع : الرسائل الديوانية، الرسائل الأخوية ، الرسائل النبوية التي كان يبعثها أصحابها مع الحجاج إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(1)—عبد العزيزفيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 448.

(2)—ابن مريم، المصدر السابق، ص 97.

(3)—ابن مريم، المصدر السابق، ص 211.

(4)—التنسي، المرجع السابق، ص 127.

أما الشعر: فقد ازدهر هو الآخر في هذا العهد وإن لم يقتصر على الشعراء والأمراء[1] بل تعدي إلى غيرهم من العلماء وممن برز في هذا المجال السلطان أبو حمو موسى الثاني والسلطان أبو زيان محمد الثاني[2]، أما في الموشحات فقد برز الشاعر الطيب الوشاح التلاليسي .

3-**التاريخ**: في هذا العهد صار هذا العالم قائما بذاته فظهرت كتب والمغازي والأنساب وأمم والأديان والتراجم والطبقات والحوليات والتواريخ المحلية والخطط وغيرها من المصنفات ذات الصلة بعلم التاريخ وقد ظهر رواد كثيرون لهذا العلم كانوا من صفوة الكتاب الذين تولوا مناصب سامية في دواوين الدولة الزيانية وهي المناصب التي جعلتهم قريبين من مصدر الخبر والأحداث وفي مناولهم وثائق بني زيان[3]، ومن ابرزهم أبي زكرياء يحي بن خلدون مؤلف كتاب نبغة الرواد في ذكر الملوك في بني عبد الواد الذي صنفه بطلب من السلطان أبي حمو الثاني، وكتاب المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن لأبي عبد الله بن مرزوق الخطيب الذي ألفه للسلطان الحريني أب الحسن وكتاب المجموع أو الديوان الذي تضمن السيرة الذاتية لعائلته وكتاب زهر البستان في دولة بني زيان لمؤلف مجهول ونظم الدر والعقيان في بيان شرق بني زيان الذي ألفه الشيخ الحافظ محمد بن عبد الله التنسي وغيرهم كثيرون ممن لا يتسع المجال لذكرهم [4].

المطلب الثاني: العلوم العقلية وأبرز أعلامها

أدلى الزيانيون اهتمام خاصا ورعاية بالعلوم العقلية وعملوا على التعمق بدراستها وأبحروا فيها وقد شملت هذه العلوم الرياضيات بفروعها من حساب وجبر وفلك وهندسة وطب وكمياء وعلم الفلاحة والموسيقى وقد تضافرت وتعاظمت عدة عوامل ساهمت في تقديم هاته العلوم كان أبرزها التقدم في كافة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية وحركة تنقل العائلات الأندلسية العلمية لحوافر

---

[1]—التنسي، المصدر السابق، ص 220-227

[2]-عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ص 463

[3]—يحي بن خلدون،المرجع السابق ص 86

[4]—ابن مريم: المرجع السابق، ص 225.

المغرب الإسلامي كما أن لحركة الرحلات العلمية في سائر أنحاء دول العالم الإسلامي كما لها الفضل ومن أشهر هذه العلوم :

العلوم العددية:

وهي من العلوم بالغة الأهمية بحيث لا يستغنى عنها الإنسان يعرفها ابن خلدون "وأولها الارثماطيقي وهو معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف اتباعية التوالي أو التضعيف"[1]، قسم لعدة فروع كعلم الحساب وعلم الجبر والمعاملات والفرائض والهندسة وهي من العلوم التي يحتاجها الناس في معاملاتهم اليومية ولهذا القواعد مصنفات تتناول الفروع[2]، ومن أشهر التآليف التي درست كتاب "خط التقارب عن وجوه أعمال الحساب" وتلخيص ابن البنا: "بغية القارض في الحساب والفرائض" و"كشف الجلباب عن علم الحساب" وكتاب "كشف الأنوار وكشف الأسرار عن علم الغبار" ومن ابرز العلماء الذين برزوا في هاته العلوم محمد بن إبراهيم العبدري التلمساني المشهور بالآبـــــــلي (ت 757ه) تتلمذ على يده عبد الرحمان ابن خلدون وشقيقه يحي بن خلدون وابن مرزوق الشريف التلمساني ولسان الذين بن الخطيب وآخرون[3]، والعالم ابن أحمد التلمساني الشهير بالحباك والقاضي سعيد بن محمد العباني التلمساني وأبي الحسن علي بن محمد القلصادي[4]، وما ذكرناه من مؤلفات ومؤلفين كان على سبيل المثال لا الحصر .

علم المنطق:

يطلق عليه علم الكلام وهو القوانين يعرف لها الصحيح من الفاسد في حدود المعرفة للواجبات والحجج المفيدة للتصديقات[5]،هذا القول عرفه ابن خلدون وكانت من العلوم التي أنكر تدريسها

---

[1]—عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ، ص 234

[2]—عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ،ص470.

[3]—شقدان سامي كامل، تلمسان في العهد الزياني، اشراف هشام بورميلة، شهادة مستر، فلسطين، 2002، ص 235.

[4]— عبد لعزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 471 .

[5]—عبد الرحمان ابن خلدون، المرجع السابق، ص 644.

الفقهاء إلى أن ألف الإمام الغزالي فنشأ محوا في تدريسها فانكب الناس في تدريسه فتداولوا كتب ومؤلفات عديدة كمؤلف محمد بن العباس التلمسان شرحا لجمل الخونجي وشرح مختصر ابن عرفة[1].

علم الفلك:

أطلق عليه علم الهيئة أو علم التنجيم فقد اهتم القدماء بحركة النجوم والكواكب فاهتم المسلمون بعلم الفلك كعلم لمعرفة السنين والشهور ومواقيت الصلاة والحج وتحديد القبلة وشهر رمضان وكان يراقب العلوم العددية فقد تميز محمد بن أحمد التلمساي بتدريس على الإسطرلاب ومحمد بن يوسف السنوسي وتصنيف العالم القلصادي[2]، أبو عبد الله محمد بن النجار وأبو الحسن علي بن أحمد المشهور بابن الفحام الذي اشتهر بصناعة المنجانة التي تعطي الوقت في قصر المشور[3].

الطب:

عرفه ابن خلدون " صناعة الطب وهي صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة"[4]، كانت مهمة الطب متداولة بعناية في تلمسان وكان الأطباء والعلماء يقومون بتدريس العلوم الطبية والنظرية والعلمية للطلبة وكانت تدرس في بعض مساجد تلمسان وفي البمارستان وتشير النصوص لوجود أكثر من ثلاثمائة عنوان لمصنفات الطب والصيدلة ومن ذاع حيث سير أبو القاسم محمد بن أبي القاسم الحكيم التلمساني كان الطبيب الخاص لأبوتاشفين الأول ومحمد بن علي فشوش وموشي بن صمويل بن يهودا الاسرائلي المعروف بابن الأشقر[5]، ومما يجب الاشارة إليه هي موسوعة العلماء بحيث يبرع العلماء في عدة علوم .

---

[1]—عبد الفيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 478.

[2]—نفسه، ص 476.

[3]—شقدان، المرجع السابق، ص 236.

[4]—عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ص 650.

[5]—عبد العزيز فيلالي، دراسات أبحاث في تاريخ المغرب الأوسط، دار الهدى، الجزائر، ج1، ص ص 119-120.
انظر الملحق رقم 06.

المطلب الثالث: حركة التأليف في العلوم النقلية والعقلية

أ- إن أكبر دليل على ازدهار الحياة العلمية في الدولة الزيانية وأهم ما يعكس عظمتها تلك المؤلفات التي جانت بها قرائح العلماء في هذه الدولة في مختلف العلوم، بل نجد بعض العلماء الذين وصفوا بالموسوعية قد تركوا أثار علمية في عدة علوم مثل: أبو عبد الله المقري، ومحمد بن مرزوق الحفيد ومحمد بن عبد الكريم المفيلي، ومحمد بن العباس التلمساني وعبد الله بن مرزوق الخطيب وقد ذكرنا هؤلاء كعينة وليس على سبيل الحصر ولعل أكثر ما بلغت النظر في عالم التأليف في ذلك الوقت[1].

وقد سيطرت المؤلفات النقلية لاهتمامهم بهذه العلوم وكان معظمها في الشروح والمختصرات والحواشي، ومن ابرز من ألف فيها :

أبو اسحاق بن حلف بن عبد السلام التنسي الذي ألف شرحا عن كتاب التلقين للقاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر[2]، إلى جانب بن زغوان الذي له مقدمة في التفسير، وكتاب البدر المنير للمغيلي، كما شرح بن مرزوق الحفيد كتاب الجامع الصحيح البخاري، أما أحمد بن أبي حجلة التلمساني فقد ألف ما يزيد عن 80 كتابا في الحديث والفقه والأدب، وقد كتب أحمد بن زغوان في الفقه مختصر الخليل، أما أحمد بن البيدي فقد نظم عقائد السنوسي في قصائد شعرية زائدة وشرح البردة .

ب-أما الدراسات اللغوية وما يتفرع عنها من العلوم والآداب فقد حظيت باهتمام كبير من طرف العلماء في ذلك العهد وذلك لاتصالها الوثيق بعلوم الدين وقد آدن ذلك إلى بروز العديد من اللغويين كأبو عبد الله محمد الشريف التلمساني الذي ألف كتاب الثقاب في لغة بن الحاجب، أما في عهد بغمراسن فقد كان أبو بكر بن خطاب المرسي صاحب القلم الأعلى في بلاطه [3].

---

[1]-المقري، المرجع السابق، ج5، ص 275.

[2]-يحي بن خلدون، المرجع السابق، ج1، ص 114.

[3]-عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ص 109.

أما في الشعر فنجد خميس الذي كان أدبيا وشاعرا وقد خلف كتاب الدر النقيس في الشعر بن خميس ومن شعره في وصف تلمسان:

تلمسان جادتك السحاب الدوالخ وأرست بواديك الرياح اللواقح

كما ازدهرت كتابة التاريخ عند الزيانيين فنبغ في عهدهم المؤرخون مثل يحي بن خلدون الذي ألف كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد [1].

وكتاب نظام الدر والعقيان في بيان بني زيان لمؤلفه الحافظ بن محمد بن عبد الله التنسي الذي ألفه في نسب بني زيان وشرفهم، وكتاب البستان لابن مريم التلمساني الذي احتوى على ترجمة أعلام تلمسان [2].

ت-كما عرفت العلوم النقلية نهضة ملحوظة في ذلك العهد ويعود الفضل في ذلك لعلماء الأندلس، وقد نبغ فيها جملة من العلماء الزيانيين حتى أصبح لهم باع طويل فيها وشهرة تخطت حدود دولتهم .

وفي العلوم العددية ظهرت مؤلفات ككتاب مختصر الجبر لابن بدر الأشبيني وقصيدة نصيرة البادي الشادي التي نظمها أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر، وكتابي رفع الحجاب عن تلخيص أعمال الحساب لاين البنا ومختصر الحوضي لأحمد بن الكلاعي وكما قام سعيد بن محمد العقباني بشرح كتاب الحوني وقصيدة بن الياسمين أما أبو عبد الله محمد السنوسي فقد كانت له عدة مؤلفات في نفس المجال منها كشف الأنوار وكشف الأسرار عن علم الغبار وكتاب التبصرة وقانون الحساب في مقدار التلخيص وغيرها الكثير [3].

---

[1]—يحي بن خلدون، المرجع السابق، ص 86.

[2]—عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 467.

[3]—عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2،ص 466.

أما في علم المنطق: فقد توارثه الزيانيون عن الموحدين الذين اتبعوا منهج الغزالي وقد ألف فيه العديد منهم مثل ابن العباس التلمساني شرحا لجمل الخونجي[1] كما وصنف سعيد العقباني، شرحا لجمل الخونجي كما ألف بن مرزوق الحفيد أرجوزة في نظم جمل الخونجي .

وفيما يخص علم الفلك فقد اشتهر به الزيانيون، تخصصوا فيه حيث ألف الفقيه الفرضي الرياضي محمدين أحمد التلمساني المعروف بالحياك الجوزة (بغية الطلاب في علم الأسطر لأب) ونظم رسالة الصفاري وقدم محمد بن يوسف السنوسي شرحا سماه (عمدة ذوي الألباب ونزهة الحلطاب في شرح بغية الطلاب في علم الأسطر لأب) كما ألف العلصادي العديد من الكتب في هذا المجال وصنف في التنجيم شرحا على رجز أبي إسحاق بن فتوح [2].

---

[1]–الخونجي: هو أفضل الدين الخونجي القاضي المتكلم الشافضي نزايل مصر ولد سنة 590هـ كان حكيما منطقيا، تميز في العلوم الحكمية له تصانيف في الطب والمنطق، أنظر سير أعلام البلاد، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، ج23، 1422هـ/2001م، ص 228.

[2]–عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 474.

انظر الملحق رقم 07.

الفصل الثالث

دراسة مقارنة

المبحث الأول : أوجه الشبه

المبحث الثاني: أوجه الاختلاف

المبحث الأول : أوجه الشبه

المطلب الأول :عناية السلطة بالحياة الفكرية.

أ–الدولة الرستمية: كرس الأئمة الرستميون حياتهم لنشر العلم في المجتمع الإباضي وحرصوا على القيام بذلك بأنفسهم لأنهم كانوا في طليعة العلماء حيث كان العلم شرطا أساسيا في تولي الإمامة فكان بعضهم يقوم بالتدريس في جامع تيهرت ومسجد نفوسة، وكانوا يقدرون العلم والعلماء وكان البيت الرستمي بيت العلوم جميعا بفنونها من علوم التفسير والحديث وعلم اللسان وعلوم التنجيم والأصول والفروع والفرائض[1]، فعبد الرحمان بن رستم بويع بالإمامة لعلمه وفضله وحسبه أنه من حملة العلم الخمسة إلى المغرب، وعبد الوهاب بن عبد الرحمان كانت له خلواته العلمية الخاصة إلى جانب مجالسه العامة التي كان يرتاده طيلة العلم من سائر أرجاء دولته[2]، كما عرف أبو بكر بن افلح بشغفه بالأدب والتواريخ[3].

أما أبو اليقضان محمد فكان يدرس في حلقاته ثلاثة أنواع من العلوم كما عملوا على جلب الكتب واستقدامها خاصة من بلاد المشرق فكانت مكتبتهم المعصومة تحوي أمهات الكتب الدينية إلى جانب مصنفات الفنون والرياضيات والصنائع، ومن جهودهم أيضا في نشر العلم وإثراء الثقافة هو حركة التبادل الثقافي التي أباحوها ولو على حسابهم فهذا الإمام عبد الوهاب وهو الذي واجه في عهده مختلف الإتجاهات والأفكار والمذاهب وانفصلت الإباضية إلى وهيبة ونكارية وخلفية وناظر المعتزلة[4]، لعل استقرار الناس من مختلف الأجناس ومنحهم الحرية الدينية والمذهبية من أهم العوامل التي غدت التبادل الثقافي في ذلك العهد كما ساهمت التجارة في هذه الحركة وكان للاباضية السهم الأوفر في نهوض بها .

---

[1]–الدرجيني: المرجع السابق، ج1، ص 25.

[2]–إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 298.

[3]–ابن الصغير: المرجع السابق، ص 31.

[4]–بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص 232.

ب–الدولة الزيانية: تعتبر الدولة الزيانية من بين الدول التي اتبعت سياسة مشجعة للعلوم بنوعيها النقلية والعقلية[1] وقد عرف ملوك بني عبد الواد بجهودهم المستمرة في نضرتهم للعلم ورعايتهم لفنون الآداب والعلوم الشرعية، وهذه الميزة جعلتهم يشجعون الفقهاء والأدباء والعلماء ويستقبلونهم من مختلف الحواضر الإسلامية لا سيما الأندلس[2].

ويعتبر يغمراسن مؤسس الدولة الزيانية أول من دشن تشجيع الحركة الفكرية والتعليمية بتلمسان، حيث عقد المجالس العامية في قصره ورغب رجال العلم في القدوم إلى العصمته، فاستقطب أبي بكر محمد بن عبد الله بن الخطاب، فأحسن نزوله ومستواه وقربه من بساط العز وجعله صاحب القلم الأعلى، وبنى مئذنة جامع الأعظن تجرارة ومئذنة جامع اكادير، كما سار خلفه على دربه وعملوا على العلماء وأضاف إليهم مجموعة من الأدباء والشعراء من بينهم المتصرف أبا عبد الله بن خميس وقلة خطة الكتابة، أما أبو حمو موسى فقد جلب الفقهاء والعلماء وأنشأ أول مدرسة في المغرب الأوسط والمسجد الواقع داخل المشور أما في عهد أبو موسى حمو الثاني الذي تجلت سلوكاته وطموحه وتألق بصفة خاصة في الشعر والأدب فكان عصره أزهى العصور الزيانية حيث حرص على حضور مجالس الفقه والدين ومشاهدة المناظرات خاصة الشعرية منه[3].كما قام السلاطين بدفع رواتب الأساتذة وتقديم المنح للطلبة كما كانوا يشجعون على التنافس العلمي ويبحثون عليه .

[1]–بن خلدون، العبر، ج6، ص 226

[2]–محمد طمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص 236-233

[3]–جيلالي شقرون، تلمسان مركز اشعاع حضاري في المغرب الأوسط، مجلة الفقه والقانون الإلكترونية، ص 4.

المطلب الثاني: بوتات العلم

1- الأسرة الرستمية العالمة :

كان للأئمصة الرستميون من العلماء البارزين الذين لهم نصيب واقر من العلم[1]، خاصة وأنه من شروط تولي الإمامة عند الإباضية، أن يكون الإمام المبايع عالما محيطافكان الامام عبد الرحمان من كبار العلماء في عصره فكان بارعا في علوم الدين واللغة والفلك وكان محبا للعلم فاقبل على قلة ما يجد من الوقت على التأليف فنصف كتابين حسب المصادر الاباضية أحدهما في التفسير والثاني جمعت فيه خطب الإمام[2]،كما كان الإمام عبد الوهاب محبا للعلم تواقا للمعرفة وكان يبعث الأموال إلى العراق شراء الكتب، وقد صنف كتابا سماه نوازل نفوسة، وكان الإمام أفلح الما في الحساب والفلك، أدبيا شاعرا ينظم الشعر[3]، ولم يقتصر ذلك على العنصر الرجالي فقد كان للمرأة في الأسرة الحاكمة نصيبا في التفقيه في بعض العلوم والنبوغ فيها وذلك شأن أخت الإمام أفلح التي نبغت في الحساب والفلك والتنجيم،

-أسرة المساكني: وقد كان عمروس بن فتح المساكني قمة شامخة من فهم العلم في جبل نفوسة نشأ في قرية فطرس وفيها درس اشتهر ينسخ مدونة أبي غانم الخرساني التي أملتها عليه أخته فكان يلازم الموضح حتى تدركه الشمس فينتقل حرصا في احياء العلم ما رجع بشر إلا وقد استكمل نسخها وهي في اثني عشر جزءا فوجد نقطة جر على بعض الكراريس فقال سرقت هذه فقال: سمامي سارق العلم وبقيت هذه النسخة عندما أحرقت المعصوم[4]، أما أخته فكانت عالمة وحضرت وقعة مانوا فأخذت أسيرة على عدة نساء فخافت عليهن الفساد من الفساق فأمرت أن تستخلف كل واحدة على نفسها من بزوجها من آراءها بسوء.

---

(1)—ابراهيم بحاز، الدولة الرستمية، ص235 ،أنظر أبو زكريا، السير، ص 65، الدرجيني، طبقات، ج1، ص ص 56-57.

(2)—ابراهيم بحاز ، المرجع السابق،ص 234

(3)—محمود اسماعيل، االمرجع السابق، ص 219.

(4)—الشماخي، السير، ص ص 369-371.

من العائلات العالمة في نفوسة عائلة آبان وسيم الذي كان يشتغل في أول عمره بالكتابة وكان له أخ صالح أفضل منه وقد مرضا معا فكان الأخ مصدرا اهتمام المشايخ فعزم على أن يجعل الدنيا جزاؤها بعد أن يشفى وكذلك فعل إذ عكف على مجالس العلم حتى صار أفضل أهل زمانه علما وقد تزوج من العالمة بهلولة النفوسية التي كانت تعقد مجالس العلم في بيتها وعملت معه بالتدريس.

ومن العائلات العالمة بيت العالم يحي الأزداني وزوجته أم الخطاب الأغر ميمانية كانت مسيحة الدين ثم أسلمت بعد زواجها واتجهت إلى طلب العلم فحفظت القرآن ودرست علوم الشريعة حتى أصبحت مرجعا للنساء في الاستشارة والفتوى.

وأيضا بين العالم أبو ميمون الجبطالي وزوجته أم يحي تاكسيلت من العالمات الشهيرات في الفقه بجبل نفوسة كانت تفتح بيتها لمجالس العلم وتعد أول من فتحت مدرسة خاصة بالنساء في منطقة آمسين وألحقت بها محلا لإقامة الفتيات البعيدات[1].

لم تقتصر بيوتات العلم في الدولة الرستمية على هذا الكم وإنما تعدته وتبقى هذه مجرد عينة بسيطة عنها .

2- الأسرة الزيانية :

لقد تميز العهد الزياني، بظاهرة ايجابية زادت من رقي الحركة الفكرية ورفعة شأنها وتتمثل هذه الظاهرة في كثرة بيوتات العلم والأسر العالمة إذ يتغذي أحيانا عدد العلماني الأسرة الواحدة الثلاثة[2] ومن هذه الأسر نجد :

- البيت المقري: وهو نسبة إلى مدينة مقرة والتي يذكر الرحالة أنها بالقرب من الزاب فيقول البكري: وبين المسيلة مرحلة ينتشر فيها وادي مقرة، عليه سبع قرى ويذكر أن نسبة قرشي[3]، وأن جدهم كان

---

[1]—محمود حسين كوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيرها على بلاد السودان الغربي خلال القرنين 2-8 حتى 8-14م، ج2، منشورات مؤسسة تاوالت 2008، ص ص 114-115.

[2]—ابن مريم،المرجع السابق، ص 154.

[3]—ابن مريم، المصدر السابق، ص 104.

صاحب الشيخ أبي مدين شعين وقد أنجبت هذه الأسرة ثلة من العلماء الذين ساهموا في النهوض بالحركة العلمية ودفع عجلتها إلى الإمام ومنهم:

محمد المقري الذي ولد بتلمسان على عهد أبي حمو موسى الأول وهو صاحب كتاب النفح تتلمذ على 27 شيخا على رأسهم عمران المشدالي، والآبلي[1] ابني الإمام وابن هدية، والعالم النحوي أحمد المقري صاحب كتاب التحفة المكية شرح فيه الألفية ومفتي تلمسان سعيد المقري المكني بأبي عثمان قيل أنه لبس الخرقة الصوفية وآخذ مواد العربية، اشتغل بالتدريس والفتوى حتى سمى بمفتي تلمسان توفي بالقاهرة 1041هـ/1632م[2].

- البيت العقباني: وهو أيضا من البيوتات التي تلألأ نجمها في سماء حضارة تلمسان من خلال العلماء الذين خرجوا من هذا البيت وشاركوا في البناء الحضاري للدولة، ومنهم نسبة العقباني إلى قربه بالأندلس ويرجح أنهم دخلوا مع أمراء الأندلس بعد انهزام الموحدين في معركة حصن العقاب خلال القرن 7هـ/13م[3]، من علماء هذا البيت القاضي المجتهد سعيد العقباني، تتلمذ عن أكبر الشيوخ بتلمسان وكان أنجب الطلبة في الفرائض[4] كما تولى عدة مناصب كالتدريس والتولي وكان قاضي المغرب الاسلامي[5].

---

[1]—أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي: أصله من آبله بالأندلس عالم المغرب الإسلامي قال عنه بن خلدون شيخ العلوم العقلية تخرج عنه جيلا من كبار العلماء توفي بفاس عام 757م، انظر المقري، نفح الطيب، م 05، ص 244.

[2]—ابن مريم، المصدر السابق ،ص103

[3]—عبد الواحد المراكشي، المعجب، في تلخيص اخبار المغرب، شرح الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، صيد بيروت، 2006، ص 235.

[4]—علم الفرائض: هو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة من 3م تصح باعتبار الأصول ومناسختها، أنظر ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 549

[5]—بن مريم، المصدر السابق، ص 106 .

ومن مصنفاته : شرح الحوض في الفرائض وشرح ابن الحاجب في الحساب وشرح جمل الخونجي في المنطق ومن عائلة العقباني أيضا العالم الدارس قاسم العقباني الذي أجازه[1] العقلاني عكف على التعلم قال فيه التنسي وحيد دهره وفريد زمانه[2]، ومن عائلة العقباني أيضا الفقيه أحمد العقباني، وقاضي الجماعة إبراهيم العقباني والقاضي المدرس محمد العقباني وغيرهم الكثير من العلماء الذين أنجبتهم هذه العائلة لبيت المرازقة فيعود نسبهم إلى جدهم مرزوق الذي دخل تلمسان أيام حصار لمتونة[3]لها أما نسبهم يعود لقبيلة عجيسة البربرية الزيانية وقد قدم جدهم من القيروان[4]، واستقر مرسي الطلبة[5] وكان يدعي بالحاج لأن أجداده كانوا حجاجا وقد انجبت هذه الأسرة العديد من العلماء الفطاحل حيث أنجبت نحو ثمانية علماء منهم: بركة بنت المرازقة محمد بن مرزوق وصف بالعالم الولي تتلمذ عن شيوخ تلمسان وقد كان من العلماء والعالمين[6]، وكان صاحب كرامات ومكاشفات أصهر إليه الفقيه أبو عبد الله الكتاني ومنهم أبو عبد الله بن مرزوق عم الخطيب، كلفه السلطان المريني أبو الحسن ببناء مسجد العياد أثناء الحصار[7]، وأبو الخطيب أبو العباس أحمد بن مرزوق أصهر إليه أبو إسحاق التنسي وتم العقد والنفقة على يد السلطان المريني وابنه فخر المغرب على المشرف بن مرزوق الخطيب يلقب بالجد كانت له عدة رحلات في المغرب والمشرق أخذ عن خيرة شيوخها تولى التدريس والخطابة توفي بالقاهرة وأيضا ابن مرزوق الحفيد وقد عمل على جمع العلوم النقلية والعقلية مارس التعليم بتلمسان وتوفي بها في شعبان 842هـ وأيضا العالم ابن مرزوق الكفيف الذي كني بهذا الإسم بعد أن فقد بصره، وحفيد الحفيد أحمد بن مرزوق ابن الكفيف أخذ

---

[1]—الإجازة من الجواز والتعدي وتجاوز الشيء وقد كانت الإجازة أولا في الحديث صيانة له وتحررا من وقوع الخلط فيه ثم أصبح الشيوخ يكتبون لتلاميذهم بما يجيزهم بإتمام القراءة ثم بحيزوهم للتدريس والرواية عنهم ، انظر المقري، نفح الطيب، ص21.

[2]— ابن مريم، المصدر السابق، ص 154 .

[3]—لمتونة: هي احدى فضائل القبيلة صنهاجة التي أسست دولة المرابطين سنة 434هـ، انظر ابن خلدون، العبر، ج6، ص 181.

[4]—يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 114.

[5]—مرسي الطلبة: حي من احياء تلمسان كان به مسجد له مخرج نحو باب الحياد، انظر حسن الوزان، وصف افرقية، ج2، ص 24.

[6]—ابن مريم، المصدرالسابق، ص 226.

[7]—ابن خلدون، العبر، ج7، ص 61.

عنه العلوم النقلية كان فقيها عالما وأديبا صالحا لكنه لم يعمر[1]، ومن المرازقة أيضا الخطيب السبط محمد بن مرزوق قبل عنه زعيم العلماء وسيد الكلمة الفضلاء الشرفاء .

وزيادة على هذه البيوتات هناك بيوتات أخرى مثل بيت الشريف الذي يعد نسبه حسني علوى، وقد ظهر به ثلاثة علماء أجلاء منهم شريف العلماء أبو عبد الله محمد الشريف كان متصوفا أخذ عن المشدالي وابني الإمام والآبلي وتبحر في علومه فتفجرت ينابيع العلوم من مداركة، عمل في التدريس وكان متصوفا ومن بيته أيضا شهد العلماء عبد الله الشريف مارس التدريب بغرناطة وفي طريق عودته إلى تلمسان توفي غريقا عام 792هـ وأيضا عالم الشرفاء عبد الرحمان الشريف: تولى التدريس وأتقنه توفي سنة 826هـ[2].

وفي العهد الزياني تعددت بيوتات العلم كبيت بن هدية وبيت بن زانو وبيت أبناء الإمام وتبقى هذه مجرد عينة بسيطة إذا لا يتمتع المقام لذكرهم جميعا [3].

المطلب الثالث: التبادل الثقافي

أ-الرستمية : عمل الرستميون على توثيق علاقتهم الثقافية بمختلف البيئات العلمية والاحتكاك بمراكز الثقافة في العالم الإسلامي فموقع تيهرت مكنها من لعب دور الوسيط الثقافي بين حواضر ومراكز الإشعاع الحضاري في المغرب الإسلامي فنتج عن ذلك علاقات ثقافية مع الدول المجاورة، فبالرغم من صراعهم السياسي مع الأغلبية واختلافهم المذهبي مع القيروان، ولم يكن حافلا من دون إقامة جسر من التواصل الفكري والثقافي بين الحاضرتين حيث تواجد القيروانيون بتيهرت وكان لهم مسجدهم ورحبتهم[4].وساهموا في إثراء الحياة الفكرية ودخلوا في مناظرات مع علمائها ويقول الشماخي إن موقعة مانو سنة 283هـ/896م ووصفت حدا للحوار بين الجانبين[5] وشجعت

---

[1]—ابن مريم، المصدر السابق، ص 52.

[2]—نفسه، ص 275.

[3]—ابن مريم، المصدر السابق، ص 129.

[4]—تالية سعدو، الحركة الفكرية للدولة الرستمية، مجلة عصور جديدة، عدد01، 1432هـ/2011م، ص 63.

[5]— الشماخي، المرجع السابق، ج1، ص 66 .

العلاقات الاقتصادية مع أموي الأندلس على ربط علاقات ثقافية وكانت بين علمائهم رحلات متبادلة مثل الشاعر التيهرتي بكر بن عبد الرحمان بن حماد ومن الوافدين مسعود الأندلسي وعمران بن مروان الأندلسي، وكذا شأن الرحلة مع المشرق التي اقترنت بهدفين تأدية فريضة الحج وأخذ العلم عن علمائه مثل محمد بن محبوب وابنه[1].

كما أدت المناظرات دورا فعالا في إثراء الحياة الفكرية والنهوض بها، فقد كانت تدعو إلى حوار بين النخبة العالمة لمحاولة إيجاد أرضية فكرية مشتركة عن طريق الإقناع وكانت تدور في أجواء هادئة داخل المسجد الجامع أو قصر الأمير أو في قضاء مفتوح[2]، وقد تنوعت هذه المناظرات فكانت على عدة مجالات :

1-المناظرات داخل المجال الإباضي: ومنها ما كان مع الحركات المنشئة عن الوهبية كالنكار والخلفية والنفاثية[3].

2-المناظرات مع بقية الفرق: مثل المعتزلة التي ناظرتها الإباضية في نهر مينة ومناظرة أبي نوح سعيد بن زنقيل الاباضي وأبو حمو المعتزلي وكانت من أعسر المناظرات [4].

3-المناظرات الإباضية مع السنة: رغم الإحتكاك الذي حصل بينهم، فلم تسجل المصادر مناظرات بين الطرفين، عدا ما ذكره ابن الصغير عن مناظرته مع الاباضي، وكذلك بالنسبة للمناظرات بين علماء المشرق والمغرب وقد بدأت منذ الرحلة العلمية لحملة العلم الخمسة مثل ما حصل مع زائري الإمام عبد الوهاب الذين قدموا من المشرق وتناظروا مع أحد علماء نفوسة، ومناظرة أبي سفيان محبوب بن الرحيل لعمروس بن فتح التي جرت في مكة .

ب**–الزيانية:** كانت الحلة في طلب العلم في الدولة الزيانية من المسائل المحمودة، إذا لم يكتف طلاب تلمسان وعلماؤها بالمعارف المحلية فكانوا يرتحلون إلى العواصم الكبرى بالغرب أو الشرق الإسلامي

---

[1]–تالية سعدو، المرجع السابق، ص 65.

[2]–الشماخي، المصدر السابق، ج1، ص 60.

[3]–بحاز ابراهيم، المرجع السابق، ص 392.

[4]–الشماخي، المصدر السابق،ج1، ص 63.

وقد نتج عنها تبادل في مختلف العلوم وتداول في الكتب وتنافس على المجالس والحلقات العلمية ونتج عن ذلك تكوين كوكبة من العلماء والفقهاء[1]. ومن المؤلفات الهامة التي أدخلت إلى بلاد المغرب عن طريق الرحلة مختصر ابن الحاجب ومختصر خليل بن إسحاق المالكي وكما حرص السلاطين الزيانيين على استقدام العلماء من جميع الأنصار والتقرب منهم وإجراء الأرزاق عليهم كالأخوين بن خلدون ووابني الإمام وبني قصد الاستزادة والانتفاع بعلومهم وحتى الصراعات السياسية لم تمنع هذا التواصل العلمي لأن الفائدة المرجوة من هذا الاتصال تكمن في تداول المعارف وتبادل الاجازات اعترافا متبادلا بين المشائخ لما يجدونه من معارف ولما يحصولونه عن بعضهم البعض سواء باللقاء المباشر أو عن طريق المكانية[2]، ومن المؤكد أن العلماء لم يشيدوا رحالهم إلى مختلف الحواضر متجشمين مشاق السفر إلا لغاية نبيلة تجلت في نهلهم للعلوم ونشرها .

أما المناظرات العلمية فكانت تمثل شكلا من أشكال التطور العلمي وكانت مسرحا لإثبات التفوق وإبراز القدرات المعرفية وتأكيد استحقاق الانجازات التي منحت لهم من قبل المشايخة فكانت بذلك مظهر من مظاهر الحركة الفكرية النشطة وكانت تتم في الصعيدين داخلي أي بين مشايخ وعلماء تلمسان وخارجي مع غيرهم من المغاربة والأندلسين والمشارقة[3] وقد تناولت الفقه الملكي بالدرجة الأولى فضلا عن التفسير والتصوف وعلم الكلام واللغة وغيرها، ومن هنا يتضح لنا أن هذا النشاط الفكري كان قاسما مشتركا بين الدولتين إذا اتفقا في الشكل من حيث أنها كانت محلية وخارجية واختلافا في المواضيع المطروحة للجدل والنقاش.

---

[1]—هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، مذكرة ماجستير 2007*2008، ص 230.

[2]—عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق، ج2، ص 327.

[3]—رشيد خالدي: دور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحياة الثقافية والعلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8هـ/13 و14م، مذكرة ماجستير ص 90.

المطلب الربع: التأثير المذهبي على الحياة الفكرية في الدولتين

4- الدولة الرستمية :

ارتبطت الحياة الفكرية في عصر بني رستم ارتباطا كبيرا بالمذهب الاباضي إذ أوفد داعية الإباضية سلمة بن سعيد[1] أربعة من مقتني أفكاره وأطلق عليهم حملة العلم إلى البصرة لتلقي العلم على يد داعية الإباضية الأكبر أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وبعد عودتهم إلى بلاد المغرب أخذوا في نشر ثقافة المذهب الايباضي وذلك في حلقاتهم التي انتشرت في جهات المغرب الأدنى وافرقية[2].

إلا أنه وإن طغت الدعوة الاباضية على الحياة الفكرية، في بلاد المغرب الأوسط وخلقت مجالا عظيما للتنافس بين اتباع المذهب وغيره من المذاهب والفرق التي كانت تجد مجالا لنشر أفكارها[3]، فإن المصادر اجمعت على أن الرستميون أفسحوا المجال لهذه الفرق والمذاهب، حيث غلب مالك على افرقية وساد ما عداه من المذاهب الأخرى، إلا أن مذهب الخوارج تسرب إليها بشقيه الصغرى والاباضي، حيث تذكر كتب الطبقات أن حلقاتهم كانت تعقد في مساجد افريقية، بل في جامع القيروان ذاته حيث داب فقهاء الخوارج على تدريس تعاليم المذهب[4]، ولما كان المذهب الإيباضي أقرب مذاهب الخوارج إلى مذهب أهل السنة، لم يجد أهل القيروان ما يحول دون التحالف مع الاباضية لمناوئة المذهب الشيعي[5]، ومن هنا يتجلى لنا أن المذهب الاباضي كان هو المذهب الرستمي في الدولة الرستمية .

---

[1]—سلمة بن سعيد: هو داعية الإباضية في بلاد الغرب وهو الذي دل حملة العلم على موضع أبي عبيدة بالبصرة، أنظر الشماخي، ج1، ص 212 .

[2]—عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 235.

[3]—نفسه، ص 236.

[4]—إسماعيل عبد الرزاق، ص 294.

[5]—نفسه، ص 295.

5-الدولة الزيانية :

كان العصر الموحدي الذي سبق قيام الدولة العبد وادية، عصر حرب عقائدية بين الموحدين والفقهاء فالموحدون كانوا ذووا نزعة إصلاحية في الدين فمنهيهم كان خليطا من المذهب الأشعرية في الكلام، ومن مذهب الشيعة[1] الذين يؤمنون بفكرة الإمام المعصوم، كما عرفوا بنينهم الفروع[2] وأحرقوا كتبها مثل مدونة سحنون ويقول المراكشي في هذا الصدد عن يعقوب المنصور (وفي ايامه انقطع علم الفروع وخاصة الفقهاء وأمر باحراق كتب المذاهب، بعد ان جرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلام والقرآن، ففعل ذلك وأحرق منها جملة في سائر البلاد كمدونة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادر بن ابي زيد ومختصره، وكتاب التهذيب للبرادعي، وولضحة ابن الحبيب، وما جانس هذه الكتب، ونحا نحوها، لقد شاهدت منها وأنا يومين بمدينة فاس ، يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويشعل فيها النار، وتقدم إلى الناس في ترك الأشغال بالرأي والخوض في شيء منه، وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة، وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك وإزالة من المغرب مرة واحدة وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث...[3]، وقد استمرت حرب الموحدين مع الفقهاء إلى أن قضى على الدولة الموحدية حيث تغلبوا عليهم سياسيا وعقديا وذلك بتأليب الخاصة والعامة عليهم، وهذا ما جعل القضاء عليهم سهلا رغم محاولاتهم اليائسة فهذا المآمون الموحدي يعلن رسميا بإبطال دعوى المهدي وعصمته[4]، في الوقت الذي حاول فيه الموحدون الضغط على فقهاء تلمسان وارغامهم على اعتناق أفكارهم والتخلي على المذهب المالكي لكن هذه الوسائل لم تزدهم الا عناءا وتصلبا في الموقف، وبقيام الدولة الزيانية عمل حكامها على نشر مذهب مالك ومحو آثار مذهب

---

[1]—الشيعة: اسم يطلق على ثاني أكبر طائفة من المسلمين ويرى أنباعه أن علي بن ابي طالب هو ونسله من فاطمة رضي الله عنها أئمة تجب لهم الطاعة بالنص السموي وهم المرجع الرئيسي للمسلمين بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، انظر هوية التشيع، أحمد الوناني، ص 27.

[2]—علم الفروع: احد أنواع العلوم الشرعية ويدرس فروع الفقه الإسلامي المتعلقة بأفعال المكلفين عرفه علماء أصول الفقه بأنه العلم بأحكام الشرعية العملية، انظر الزركشي الأصول الفقه، ص 53.

[3]—محي الدين أبو محمد عبد الواحد بن على التميمي المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، شرح الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، صيد بيروت، 2006، ص 278.

[4]—مكيوي محمد، ص 116.

الموحدين ونتيجة لذلك انتعشت الحركة الفكرية فيها وازدهرت العلوم الدينية ازدهارا كبيرا فتقدمت دراسة الفقه تقدما ملحوظا فنبغ في هذه العلوم الكثير من العلماء تركوا لنا مؤلفات ومصنفات ومختصرات عديدة[1].

[1]–: عبد الله بن كنون، النبوغ المغربي في الآدب العربي، دار الكتاب البنانية للطباعة والنشر، بيروت، 1961، ص 189.

المبحث الثاني: أوجه الاختلاف

المطلب الأول: تأثير الظروف السياسية على الحياة الفكرية

المطلب الأول: المؤسسات التعليمية

لعبت المؤسسات التعليمية الدور الأبرز في النهوض بالحركة الفكرية ورقميا في العالم الإسلامي وفي المغرب الأوسط على وجه الخصوص إذا مثلت همزة وصل بين الطالب والمعلم ولهذا فإنه من الواجب تسليط الضوء على وضعية هذه المؤسسات والتعريف بها وبدورها في الدولتين بدءا ب:

أ) **الكتاتيب**: ويرجع استخدامها إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وقد ارتبط ارتباطا وثيقا بالتربية الإسلامية في كل الأرجاء بسبب الفتوحات الإسلامية وتحمس الناس الشديد لتعلم القرآن وهذا ما يرجح أن الدولة الرستمية عرفت هذه المؤسسة ويجعل من الأخرى أن الدولة الزيانية عرفتها مع ما لحقها من تطور خاصة بعد أن استقر بعض علماء الأندلس[1].

ب)**المساجد**: ظهرت هذه الأخيرة بظهور الإسلام وقد احتل مكانة لا تدنيها أي مؤسسة أخرى إذ أن أول ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة بنائه للمسجد النبوي أصبحت هذه سنة الصحابة والتابعين حتى انتشرت المساجد في كل أقطار الإسلام والمغرب الأوسط كغيره من البقاع الإسلامية عرف هذه المؤسسة مع الفتوحات الإسلامية أي أن القرن الأول الهجري وفضلا عن الصلاة والعبادة والاعتكاف كان مكانا للتربية والتوجيه الديني ومكانا لتشاور المسلمين فيما بينهم[2]، كما عرفت حلقات الدرس منذ إنشائها وبهذا فإن هذه المؤسسة قد أدت دورها التعليمي في العهد الرستمي الذي كثرت به كما عرفت هذه المؤسسة خلال القرنين 7و9 هـ تطورا عمرنيا حيث أبدع المعماريون في إنشائها .

---

[1]—عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 366.

[2]—رزيوي زينب، مؤسسات التوجيه الثقافي في مجتمع المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع هجري(13-15م)، مذكرة ماستر 2013-2014، ص 36 .

المدارس: وتعتبر مؤسسة تعليمية متحدثة في الإسلام ظهرت في القرن 5هبالمشرق الإسلامي وكانت أول مدرسة مدرسة اليهنية بنسابورو ثم المدرسة النظامية ببغداد سنة 457هـ وفي القرن السابع دخلت إلى بلاد المغرب الإسلامي إذ أسس السلطان الحفصي أبو زكرياء المدرسة الشماعية ثم تأسست مدرسة الصفارين بالدولة المرينية بعد حوالي 30 عاما [1]، أما بالمغرب الأوسط فقد تأخر وجودها به بنحو قرنين من الزمن عن المشرق حيث ظهرت أول مدرسة به في تلمسان سنة 710هـ/1310م على يد أبو حمو موسى الأول تكريما لأبني الإمام، ثم انتشرت في كامل أرجائه ومن هنا نخلص إلى أن الدولة الرستمية لم تعرف هذه المؤسسة بشكلها الحالي وقد اقتصر التعليم بها في مؤسسات أخرى أهمها المسجد الذي كان يقوم بنفس وظائفها التعليمية .

ج) **الزوايا:** بالرغم من أهمية هذه المؤسسات في نشر العلم في المغرب الأوسط إلا أن هذه المؤسسة بدورها تأخرت بالظهور في بلاد المغرب الإسلامي إذ عرفها في القرن 6هـ/12م أي على عهد الموحدين وكانت هذه المؤسسات فضلا عن التعليم تقوم بأدوار أخرى كإيواء الطلبة البعيدين ولهذا فقد كانت توقف عليها الأحباس ومن هنا يتضح لنا أن الدولة الرستمية لم تعرف هذه المؤسسة أيضا عهدها كونها ظهرت في القرن 6 هـ

د) **المكتبات:** عرفت هذه المؤسسة منذ أقدم العصور التي سبقت الاسلام، وقد عرفتها الأقطار الإسلامية كمكتبة دار الحكمة ببغداد أما الدولة الرستمية فقد عرفت مكتبة المعصومة الشهيرة ومكتبات أخرى بنفوسة شأنها شأن الزيانيين في ذلك.

ومن هنا نخلص أن الدولتين تفاوتت في احتوائها على المؤسسات العلمية فقد تساوت في بعضها كالكتاب والمسجد والمكتبات بينما تأخرت الدولة الرستمية في بعضها كالمدرسة والزاوية كونها مؤسسات مستحدثة .[2]

[1]—عبد العزيز لعرج، المدارس الإسلامية، دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها، القسم الأول، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، العدد01-2001، ص 116.

[2]—رزيوي زينب، المرجع السابق، ص 86.

المطلب الثاني: دور المرأة في الحياة الفكرية

أ–المرأة الرستمية :

كانت الدولة الرستمية تعتني كل الاعتناء بتثقيف المرأة وتعليمها وكل ما يجعلها زوجة صالحة وأما كريمة، وكانت تعرف دينها كل المعرفة وتتخلق بأخلاقه الكريمة وتفهم العربية وتقرؤها وتكتب بها وتتقن كل الصناعات المنزلية وتتجلى بالثقافة السنوية الراقية[1]، وقد احتلت مكانة مرموقة فيها فكانت سواء في البادية أو المدينة تتمتع بحرية واسعة، كما كانت كثيرة الاعتناء بالشعائر الدينية فحملتها بأمانة وأنشأت على نهجها الأجيال والخلف الصالح [2].

وقد يرى من نساء الدولة العالمات والشاعرات والمستفسرات عن مسائل دينهن كما انتشر العلم عند الرستميات بمختلف طبقاتهن، ففي الأسرة الحاكمة كانت أخت الإمام أفلح من النساء اللاتي نبغن في العلوم وبرعن في علم الحساب والتنجيم حتى تذكر المصادر أن براعتها فاقت أخيها الإمام أفلح الذي كان متبحرا في هذا العلم [3].

وفي نفوسة ظهرت العالمات خاصة في المجال الديني والأدبي والشعري وكن يفتحن بيوتهن لمجالس العلم بل يتنقلن لطلبه بين المضارب، فقد فتحت العالمة بهلولة للعالم أبان ابن وسيم الوسيغوى الذي كان يعقد مجلسه به وكانت عالمة فقيهة فتزوجها .

كما قال هذا العالم عن زورغ الأرجانية أن معها ثلث علم الجبل وهذا ما يدل على عزارة علمها، وممن يحفظ لهن التاريخ مواقف خاصة العالمة أم يحي تاكسيلت التي اشتهرت بقوة الحفظ حيث قيل أنها في طريق الحج كانت بجانب رحل أندلسي انشد نصيرة فحفظتها مرة واحدة .

---

[1]–علي يحي معمر، المرجع السابق، ج3، ص 263 .

[2]–فاطمة مطهري، عوامل ازدهار الحركة الفكرية والثقافية في الدولة الرستمية خلال القرنين(2-3هـ/8-9م) مجلة كان التارخية، العدد 19.

[3]–تالية سعدو،المرجع السابق.ص63 .

وهذه أخت عمروس بن فتح المساكني التي كانت عالمة فقهية مرافقة لأخيها تستمع إليه وتأخذ عنه، وقد أملت عليه مدونة أبي غانم الخرساني التي لولاها لما بقي لأهل المذهب ديوان يعتمدون عليه لما وقع بتهيرت من حرق وتخريب[1].

وهذه العجوز مارن ممن اشتهرت بالذكاء والحكمة والعلم شاركت الرأي والمشورة، حيث أشارت على أبي عبيدة عبد الحميد الجناوني في توليه أم نفوسة بالحجة فاقتنع بعد أن كان معرضا عنها [2].

وفي الشعر ظهرت الشاعرتان زيدت الملوشائية ومنزو وقد جاءت أشعارهن باللغة البربرية وكانت كلها في الزهد والقيامة والقبر، ولم يقتصر العلم على فئة الأحرار بل كان للإماء والعبيد نصت منه فهذه غزالة السودانية، الأمة التي تسبب حبها للعلم وشغفها في طلبه في اعتراقها[3].

ومن هنا يظهر جليا المكانة العالية والدرجة الرفيعة التي بلغتها المرأة الرستمية في الحياة الفكرية التي كانت لها مساهمات جمة استطاعت بها أن تخلف جيلا من العلماء الأكفاء .

ب–المرأة الزيانية :

لم يقتصر التعليم بالمغرب الأوسط على عهد الزيانيين على الذكور فقط وانما حظيت الإناث بحظ منه فمنهن من كن يدرسن في الكتاب المواد التي كانت يدرسها الذكور كالقرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة على الرغم من قلة عددهن وكانت الفتيات تنقطع عن التعليم بعد هذه المرحلة لتتحمل مسؤولية لبيت إلا أن ذلك كان شأن بنات العامة، أما بنات الحكام والفقهاء والعائلات العالمة فكان يسمح لهن بمواصلة تعليمهن داخل البيوت بحضور مدرسين خصوصين[4]،كأم بن قنفد القسنطيني المنصوفة وفاطمة بنت العالم أبي زيد النجار، وزوجة أبي عبد الله محمد بن مرزوق الجد الأكبر للخطيب[5]،وبعض الأسماء التي قد سكتت المصادر عن ذكرها، وقد تكمن العلة في القلة

---

[1]–فاطمة مطهري، المرجع السابق، ص 105 .

[2]–تالية سعدو، المرجع السابق، ص 70.

[3]–فاطمة المطهري، المرجع نفسه، ص 106.

[4]–ابن سحنون، آدات المعلمين، تح محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، ص ص 181-183.

[5]–عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 355.

النساء العالمات في الدولة الزيانية وتوقفهن المبكر عن التعليم لطبيعة المرأة التي لم تكن تتماش مع الظروف الطبيعية والاجتماعية في ذلك الوقت التي كانت تشد حتى على الرجل في مواصلة طب العلم، إذ كان يفرض عليه أن يكون مستعدا لتحمل صعوبات العيش وقساوته والتحلي بالإصرار والتضحية لنيل العلوم والاستزادة منها زيادة على وجوب القيام برحلات علمية للإطلاع على علوم الغير ونيل الإجازة فيها وهذا ما لم يكن متاحا للمرأة في ذلك الوقت، لذلك فقد وضع لها مكان لين وأرق يتماشى مع وضعيتها كمرأة، وحتى تعليمها في الكتاب فقد كان يخضع لقوانين من شأنها عزل الإناث عن الذكور وقد نهي القابسي عن الاختلاط في الكتاب حيث قال انه (من صلاحهن ومن حسن النظر لهن ألا يخلط بين الذكران والإناث)[1]،وقد شاطره ابن سحنون الرأي فقال "أكره للمعلم أن يعلم الجواري ويخلطهن مع الغلمان لأن ذلك فساد لهن"[2]، وبهذا فإن المرأة الزيانية لم تكن لها مساهمة بارزة في الحياة الفكرية حسبها أوردته المصادر اذ اقتصر تعليمها في أغلب الأحيان على المراحل الأولى بخلاف المجالات الأخرى كالمجال القومي والاجتماعي .

المطلب الثالث: االعلوم في الدولتين

عرفت الدولتين الرستمية والزيانية نفس العلوم والنقلية والعقلية ولعل الفرق بينهما كان معقولا مقارنة بالفارق الزمني فمن المنطقي أن هذه العلوم لاقت تطورا ملحوظا في العهد الزياني، كما أن العلوم العقلية لم تتلقى في نفس النشاط والأقيال الذي لاقته نظريتها النقلية خاصة في الدولة الرستمية إلا أنها في العموم كانت متكافئة إلا فيما يخص علم التصوف الذي بعد علما مستحدثا في المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط على وجه الخصوص حيث ظهر التصوف في العالم الاسلامي كحركة بدأت بالزهد والورع، ثم تطور إلى علم ونظام شديد في العيادة وصارت اتجاها نفسيا وعقليا وبعد يوجه علم الفلسفة حياة وطريقة معينة في السلوكات وقدم التصوف الإسلامي بعدة مراحل[3]، ففي البداية كان لا يميز بينه وبين الفقه وعلم الكلام إذا أن الفقه يعتمد على علم الكلام أما التصوف

---

[1]—نفسه ، ص 357.

[2]—ابن سحنون، المصدر نفسه، ص 89.

[3]—عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ص 866.

فيعتمد عليهما معا لأنه على المتصوف الإلمام بالكتاب والسنة ولعل انفصال هذه العلوم يعود إلى القرن 3هـ/9م نتيجة تطور العلوم من جهة وظهور التخصص الدقيق في العلوم عند المسلمين [1].

أما في المغرب الأوسط فقد فتح الموحدون المجال أمام الفكر والنزعة العقلية في ادراك الله وصفاته وفكوا القيود التي فرضها المرابطون فكان لذلك أثر في تنمية التصوف في بلاد المغرب وكان ذلك وصارت كتب الغزالي وغيره من التصوفية السنين والمتفلسفين، تدرس في المؤسسات العلمية وتعقد لها المجالس الفكرية والفقهية، وقد برز في هذه المرحلة المتصوف القطب الغوث الاشبيلي المتوفى 595هـ وقد تتلمذ عليه الكثير من المريدين الذين أخذوا طريقته ونشروها في المغرب وفي العهد الزياني وجد هذا العلم الأرضية الصالحة فنما وتطور حتى أصبحت تلمسان من أهم حواضر المغرب المعروفة به وقد ظهر له مريدين خاصة في القرن 8هـ،/14م من خيرة علمائها من أبرزهم: أبو العباس أحمد بن محمد بن مرزوق والد الخطيب ت 741هـ/1341م بمكة المكرمة محمد بن خميس التلمساني الذي أبدع في الشعر الصوفي، أبي حجلة التلمساني وغيرهم وظهرت مؤلفات كثيرة في هذا المجال مثلا رسالة الحقائق والرقائق لعبد الله المقري وكتاب إقامة المريد وشرحي رسالة القشيري لابن زورق وكتاب القواعد في التصوف وغيرها[2]،ولأن التصوف لم يظهر كعلم قائم بذاته في بلاد المغرب الأوسط إلا في القرن السادس هـ وبالخصوص في عهد الموحدين فإن هذا الدليل قاطع على عدم وجود كعلم المنفصل في العهد الرستمي خاصة وأنه كما يرى الدكتور عبد العزيز فيلالي أنه مزج بين الفسفات والحضارات المختلفة كاليونانية والهندوسية وهذا ما جعله يلاقي رفضا من بعض المسلمين الذين لم يدركوا الفرق بينه وبين العلوم الأخرى[3].

[1]—عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 384.

[2]—عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص ص 403-404 .

[3]—عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 384 .

المطلب الرابع:تأثير الظروف السياسية على الحياة الفكرية

أ–تأثير الظروف السياسية على الدولة الرستمية :

كان قيام الدولة الرستمية في بلاد المغرب الأوسط فاتحة خير لغير موازين للقوى في منطقة المغرب الإسلامي ككل حيث كان الحظ الأوفر للأغالبة الذين منحهم الخليفة العباسي الحق في إقامة دولتهم، وعزل المغرب الأقصى عن بطش العباسين فأقام فيه الأدارسة الهاشميون دولتهم سنة 172هـ/789م ، وكذلك شأن الأندلس التي أصبحت أكثر أمنا وعزلة عن العباسيين فهيأت لعبد الرحمان الداخل إقامة الدولة الأموية الثانية بها، والجدير بالذكر أن هذه الفتوى المحيطة بالدولة لرستمية على اختلاف اتجاهاتها ومساريها الفكرية والسياسية لم تؤثر سلبا على الدولة الرستمية بل على العكس فقد خلف نوعا من الاستقرار السياسي والحضاري بينها اختلفت فيما بينها، وإنما كان وجودها إلى جانب بعضها طليعة للتنافس في جميع المجالات الحضارية خاصة الفكري والثقافي منها[1]، وإذا كان هذا حال الدولة الرستمية في بادئ أمرها فإن الأمر اختلف بعد هجوم العبيدين[2] على تيهرت واستعلائهم عليها سنة 296هـ وكانت بذلك نهاية الدولة الرستمية على ايديهم الإباضية أن عبد الله الداعي أهلك الحرث والنسل وأحرق صومعة مملوءة بالكتب بعد أن أخذ الفلك والحساب[3]، كانت تدعى بالمعصومة ويذكر محمد ديوز أنها كانت [4]،تحوي ثلاثمائة ألف مجلد وكان من بين هذه المجلدات ديوان يعرف بديوان تهرت قد ذكره الدرجيني فطبقاته، أما البقية فكان أغلبها من الشريعة الإسلامية وفلسفتها وشرح المذهب الإباضي والاحتجاج له، ويقد ما كان أبو عبد الله الشيعي يريد القضاء على كل مظاهر المذهب الإباضي وافنائه بقد ما كان حريصا على كل ما من شأنه تدعيم الدولة العبيدية التي يقيمها فأخذ ما في المكتبة المعصومة من كتب الرياضة والصنائع

---

[1]–محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية في المغرب الإسلامي، ص 173 .

[2]–العبيديون: نسبة إلى عبد الله محمد بن الحسين بن ممد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن ابي طالب الذي قدم إلى بلاد المغرب مع ابنه القاسم ليتتم الدولة الفاطمية بعد أن هيأ ل ذلك داعيته أبو عبد الله الشيعيمدعيا أنه المهدي المنتظر ويقال لهم أيضا الفاطميون بن جهاد، أخبار ملوك بيني عبيد، ص 06.

[3]–الدرجيني، الطبقات، ج1، ص 94

[4]–محمد علي دبوز، المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية ،ج3، ص 218.

وغيرها من كتب الفنون وأحرق كل ما تبقى من الكتب وخصوصا تلك التي تتعلق بالمذهب الاباضي[1].

وبهذا فإن الاباضيين لم يفقدوا دولتهم وامامة الظهور فحسب بل ضاع معها كم كبير من تاريخهم وأرائهم الفكري والأدبي

ب–تأثير الظروف السياسية على الدولة الزيانية :

افتقدت الدولة الزيانية إلى الأمن والاستقرار منذ تأسيسها، لما عرفته من صراعات وتناحر مع جاراتها الحفصية والمرينية وإذا كان حالها مع الأولى يقتصر على التبعية والولاد لها في حالات الضعف، فالأمر يختلف مع المرينيين الذين استولوا على تلمسان وحاصروها في عدة مناسبات، إلا أن هذا التدخل والصراع السياسي لم يكن سلبيا دائما وإنما كانت له نتائج ايجابية عادت على الدولة الزيانية خاصة في مجاليها الفكريين والثقافيين، إذ خلد بنو مرين وجودهم عند الزيانيين يتركهم شواهد تمثلت في العديد من المنشآت الدينية والتعليمية والتي تعد دليلا على رقي بني مرين واهتمامهم بالعمارة والإنشاء وعنايتهم البالغة بالعلم والعلماء ونشر الثقافة وهذه المنشآت كانت عبارة عن مدارس ومساجد مثل :

–مسجد المنصورة: الذي أنشأه السلطان أبو يعقوب بن عبد الحق سنة 702هـ أثناء حصاره تلمسان[2]، تعد مئذنته الشهيرة أطول مئذنة يبلغ ارتفاعها 38م.

–مسجد سيدي أبي مدين: الذي شيده السلطان أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 739هـ بقرية العياد[3] وأطلق عليه اسم الولي الصالح أبو مدين سقيب بن الحسن ت594هـ، وقد أشرف على بنائه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق.

---

[1]–عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 175.

[2]–عبد الرحمان بن خلدون، العبر، ج7، ص 458

[3]–العياد:أطلقت على هذا المكان منذ القدم لوجود مقبرة دفن بها الكثير من الفقهاء والعلماء، أنظر رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 499.

-مسجد سيدي الحلوي: أسسه السلطان أبو عنان فارس سنة 754هـ[1]

أما بالنسبة للمدارس فمنها ما هو قائم إلى اليوم مثل :

-مدرسة العياد: التي شيدها السلطان أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني عندما استولى على تلمسان سنة 737هـ بعد بنائه للمسجد أبي مدين بـ 8 سنوات [2].

-مدرسة سيدي الحلوي: التي أسسها السلطان أبو عنان فارس بعد خمس سنوات من تأسيس مدرسة العياد وزيادة على المدرسة فقد ألحق بها مسجد وزاوية وضريح[3].

ومن هنا يتضح الأثر الإيجابي الذي خلفه التدخل الأجنبي في الدولة الزيانية إذ اعتبر بحق إعماراها ولعل هذه المنشآت التي خلفها مهدت لحركة عملية كبيرة أثرتها العقول الزيانية واعتنت بها سلطتهم فخلفت له من كبار الفقهاء والعلماء الذين تتلمذوا فيها وأبدعوا فيها بعد بينما يتجلى بوضوح الأثر السلبي الذي خلفته الظروف السياسية على التراث العلمي الرستمي والإنتاج الفكري الذي عثي فيه العبيديون نهبا وإحراقا .

[1]—عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 148.

[2]—عبد العزيز لعرج، المباني المرينية في امارة تلمسان الزيانية، رسالة دكتوره دولة قسم الآثار، جامعة الجزائر، ص ص 1998 1999م

[3]—يحي بن خلدون، المرجع السابق، ج1، ص 127 .

خـــاتمة

ومن خلال هذه الدراسة يمكننا حصر النتائج المتوصل اليها فيما يلي:

إن المغرب الأوسط عرف النهضة العلمية التي عرفها الإسلامي كما تزامنتا في أغلب الأحيان في جميع المجالات وقد عرفتها حواضر المغرب الأوسط التي لا تقل مكانتها على حواضر العالم الاسلامي وإن كانت لم تبرز مثلها، وقد ترجع العلة في ذلك إلى اغفالها وإهمال الدارسين لها مما حجبها أحيانا وجعلها تظهر بمستوى أقل من نظيرتها في الأحيان الأخرى .

وقد تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن المغرب الأوسط شهد خلال الفترة الوسيطة قيام العديد من الدول التي ظهرت بها حواضر علمية عظيمة، وقد ظهرت الدولة الرستمية باعتبارها أول دولة إسلامية مستقلة في المغرب الأوسط، وكمركز ثقافي بلغت سمعته الآفاق خاصة وأن معظم أئمتها كانوا ذوي علم معرفة، إذ أولوا عناية كبيرة العلم والعلماء كما سهروا على إنشاء المؤسسات العلمية المختلفة فتخرج منها جمهور من العلماء في مختلف العلوم النقلية والعقلية، وقد ربطوا علاقات ثقافية مع مختلف الدول المجاورة ومع المشرق وعملوا على اقتناء الكتب منه، وكذا التأليف في مختلف العلوم حتى امتلأت مكتباتهم التي عملت على تغذية الحياة الفكرية وكان أشهرها مكتبة المعصومة التي احتوت على معظم التراث العملي الرسمي الذي ضاع معها على إثر إحراقها على يد أبي عبد الله الشعبي داعية العبيديين .

إلا أن عجلة التاريخ لم تتوقف باندثار هذه الدولة إذ عرف المغرب الأوسط بعدها عدة دول كالفاطمية والحمادية والمرابطية ثم الموحدية إلى أن جاءت الدولة الزيانية بعد أكثر من ثلاثة قرون ونصف وكانت عاصمتها حاضرة تلمسان الشهيرة التي غذتها عدة روافد عالمية كالأندلس وبلاد

المشرق الإسلامي، كما وصل إليها إرث ثقافي تمثل في كل ما خلفته سابقاتها من دول المغرب الأوسط وقد كان هذا دافعا كبيرا للعجلة الفكرية والثقافية زيادة على تمتعها بنفس عوامل إزدهار الدولة الرستمية التي ذكرناها سابقا والتي تطورت وتبلورت في العهد الزياني وقد تخلل المشوار العلمي لهذه الدول عدة عوامل مثلت قاسما مشتركا بينها في بعض الأحيان كتأثير المذهبين الإباضي على الدولة الرستمية والمالكي على الدولة الزيانية واحتواء كل منه على بيوتات علم وأسر عالمة وعناية حكمهما بارتقاء هذه الحياة الفكرية، كما كان للتبادل الثقافي مع غيرهما من الدول عاملا رأسيا في ازدهارهما وتطورهما علميا، كما اختلف من تأثير الظروف السياسية على الحياة الفكرية لكليهما واختلاف تأثير المرأة في الحياة العلمية فيهما كما تفوت حضور المؤسسات التعليمية بينهما ولعل أهم أسباب هذا التفاوت الزمني الذي يعد بالقرون مما جعله منطقيا .

وبما أن هاتين الدولتين تعرضتا للسقوط فإن الأولى شهدت توصلا في الحركة الثقافية خاصة في نفوسة وورجلان إستمر حتى القرن التاسع هـ بالرغم مما أصابها من فقدان لتراثها الفكري إلا أن الثانية بالرغم من عظمة حركتها الفكرية فقد عرفت ركود فكريا بعد سقوطها مقارنة بالعهد الزياني، فما هي الأسباب التي تعزى إليها هذه المفارقة؟

الملاحق

ملحق رقم 01

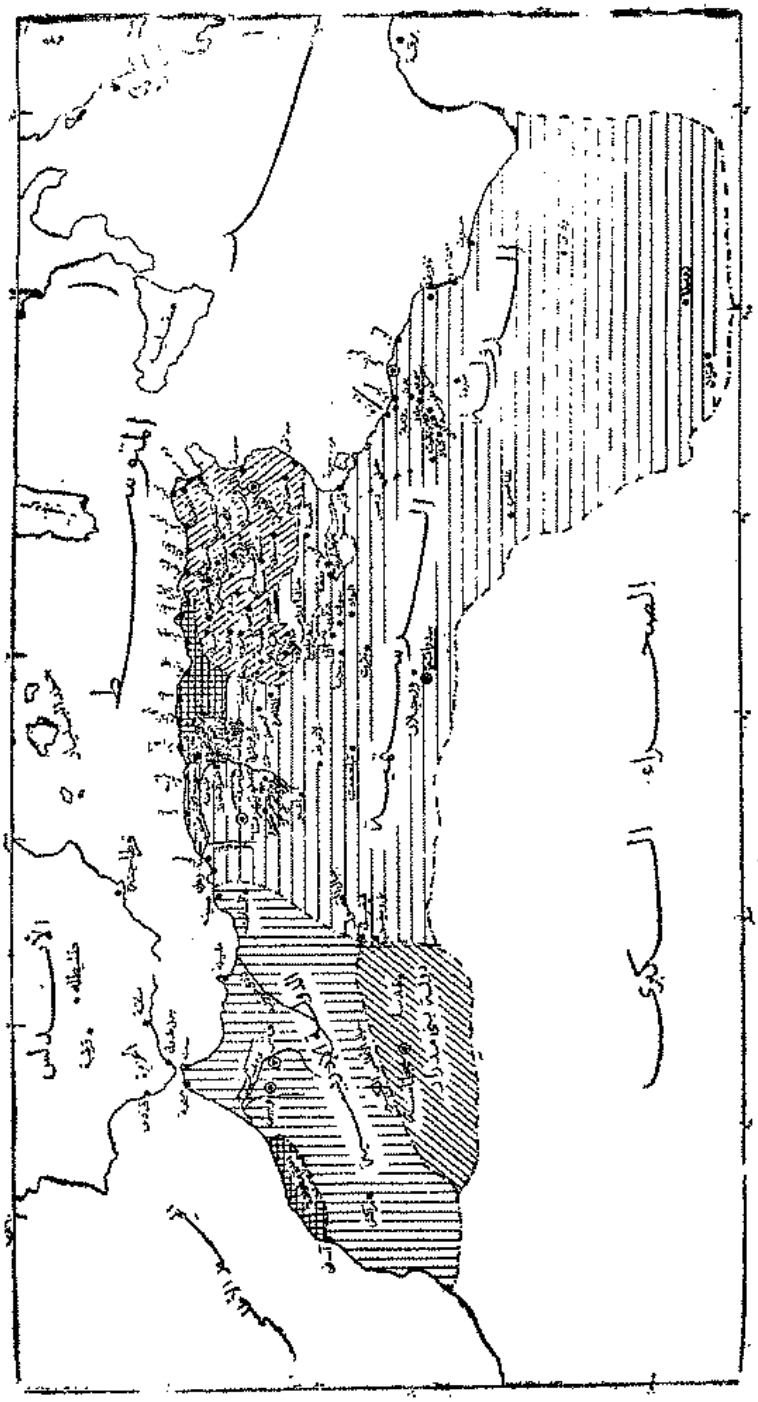

قائمة البيبليوغرافيا

قائمة المصادر :

1- ابن الأحمر أبو الوليد اسماعيل: ت 810هـ تاريخ الدولة الزيانية، تح هاني سلامة، مصر، مكتبة الثقافية الدينية، 1421هـ/2001، ط1.

2- الغطوري محمد بن مقرين، سير مشائخ نفوسة تحقيق توفيق عياد الشقروني، مؤسسة تاوالت الثقافية 2009 .

3- محمد بن عبد الله التسي، تاريخ بني ملوك تلمسان، تح محمد آغا بو عياد، موقع وزارة الثقافة، الجزائر، 2011.

4- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي، خليل شحادة، مراجعة بسهيل زكار، دار الفكر، لبنان، 2001 .

5- بن خلدون يحي، بغية الرواد، تق، تح عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائر، 1980.

6- أبي زكرياء بن ابي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، الجزائر، 1984.

7- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، كتاب طبقات المشايخ بالغرب تحقيق إبراهيم طلاي قسنطينة، الجزائر، مطبعة البعث، 1394هـ/1974م، ج1

8-الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ج23، 1422هـ/2001م.

9- ابن سحنون، آدات المعلمين، تح محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2.

10- الشماخي أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد ، كتاب السير،تح محمد حنى، دار المدار الإسلامي، ط1، 2009، دار الكتاب الوطنية بنضاري، لبيا.

11- ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستمين، تح، محمد ناصر، إبراهيم بحاز ، الجزائر، المطبوعات الجملية ، 1405هـ/1985م.

12- المراكشي ابن عذاري ، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب دار الثقافة بيروت، 1980.

13- محي الدين أبو محمد عبد الواحد بن على التميمي المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، شرح الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، صيد بيروت، 2006.

14- المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح احسان عباس بيروت، دار الصادر، ط1، 2004، ج7.

15- ابن مريم أبو عبد الله محمد بن أحمد، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ،نشر محمد بن أبي شنب، تق عبدالرحمان بن طالب ،ديوان المطبوعات الجزائرية .

مصادر الرحلة

1- البكري أبو عبد الله ، المغرب من ذكر بلاد افريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى بغداد مطبعة الحكومة، الجزائر، 1857.

2-الوزان الفاسي الحسن بن محمود ، وصف افريقية، ترجمة محمد الأخضر، لبنان دار المغرب الإسلامي، 1983م، ط2.

قائمة المراجع :

1- بحاز إبراهيم بكير: الدولة الرستمية 160-296هـ/777-909م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط3، منشورات أنفا 1437هـ/2010م.

2- الباروني أبو الربيع سليماني ، مختصر تاريخ الاباضية، تونس، ط2، 1938.

3- جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

4- حاجيات عبد الحميد ، أبو موسى الزياني (حياته آثاره) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

5- دبوز محمد علي ، المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية ،ج3.

6- رشيد بوروبية وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، تعريب محمد بغداد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 .

7- سالم عبد العزيز، المغرب الكبير، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1982، ج2.

8- عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160هـ-296م)، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع.

9- شقدان سام كامل، تلمسان في العهد الزياني، اشراف هشام بورميلة، شهادة مستر، فلسطين، 2002.

10- عبد الرزاق محمود إسماعيل ، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، نشر وتوزيع دار الثقافة، ط1، 1406هـ/1985م، المغرب.

11- فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني،دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط، دار الهدى، الجزائر، ج1، موقع للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

12- لعرج عبد العزيز ، المباني المرنية في امارة تلمسان الزيانية، رسالة دكتوره دولة قسم الآثار، جامعة الجزائر، 1998 1999م

13- كوردي محمود حسين ، الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيرها على بلاد السودان الغربي خلال القرنين، 2-8 هـ حتى8-14هـ، ج2، مؤسسة تاوالت، 2008.

14- بن كنون عبد الله ، النبوغ المغربي في الآدب العربي، دار الكتاب البنانية للطباعة والنشر، بيروت، 1961.

15- معمر علي يحي ، الاباضية في موكب التاريخ، دار توات الثقافية، ج1.

المجلات:

1-سعدو تالية ، الحركة الفكرية في الدولة الرستمية واسهام المرأة فيه، مجلة العصور الجديدة العدد 01، 1432/2011.

2-شقرون جيلالي، تلمسان مركز إشعاع حضاري في المغرب الأوسط، مجلة الفقه والقانون الإلكترونية.

3-الطمار محمد بن عمرو ، تلمسان عبر العصور،دورها في سياسة وحضارة الجزائر، الجزائر ،ديوان المطبوعات الجزائرية

4-مطهري فاطمة ، عوامل ازدهار الحركة الفكرية والثقافية في الدولة الرستمية خلال القرنين(2-3هـ/8-9م) مجلة كان التارخية، العدد 19.

المذكرات :

1- رشيد خالدي، دو العلماء المغرب الأوسط في ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8هـ/13.

2- رزيوي زينب، مؤسسات التوجيه الثقافي في مجتمعهم المغرب الأوسط ما بين القرنين (7-9هـ) و(13-15م)

3- سامية مقري، التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة (296-409هـ/909-1018)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006م.

4- هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية، سياسيا وثقافيا، مذكرة ماجستير ، 2007-2008.

ملخص

مخص

ملخص:

عرفت منطقة المغرب الأوسط بعد الفتح ومرحلة حكم الولاة قيام عدة كيانات مستقلة تناوبت على حكمه، كانت الدولة الرستمية أولها تأسست في تيهرت على يد عبد الرحمان بن رستم الفرسي وشملت جبل نفوسة وانحصر مجالها الزماني ما بين 156هـ/777م/296هـ/908م موقد شهدت هذه الدولة نهضة في مختلف المجالات سيما النشاط الفكري والثقافي الذي حاولنا من خلال هذا البحث إجلاء عوامل ازدهاره وتناميه والذي ساهم فيه عناية الحكام الرستمية بالعلوم والمعارف وتشجيعهم عليها فضلا عن مساهمتهم الشخصية فيما فقد كان لكل منهم باع في مختلف العلوم الدينية والأدبية وحتى العلمية البحتة، على غرار وفد بل تذكر لهم المصادر الاباضية أن لهم آثار علمية كما عملوا على نشر المؤسسات العلمية في الدولة التي احتضنت بها العاصمة تيهرت وجبل نفوسة حتى شملت البيوت وقد أثرى التبادل الثقافي في هذه الحركة والذي يعود الفضل الأول فيه للنجاح الاقتصادي عرفته الدولة مما حفز الوافدين عليها من مختلف الأديان والمذاهب حيث فسح لهم المجال التمتع بالحرية الدينمية والفكرية أما أنماط العلوم التي كانت متداولة فقد كانت منقسمة على العلوم النقلية والعلوم التي كان لها روادها من العلماء الذين نبغوا فيها في ذلك الوقت وخلفوا تراثا فكريا هاما في المجالين غير أن جله فقد على إثراء إحراق مكتبة المعصومة على يد الفاطميين وسقوط الدولة الرستمية .

أما بالنسبة للدولة الزيانية التي انحصر مجالها الزماني ما بين (633هـ-982هـ /1235م-1554م) التي بسقوطها طوى عهد الدول الاسلامية بمنطقة المغرب الأوسط والتي بدورها عرفت نشاطا فكريا هاما جعلها تزخر بشهرة كبة فاضحت قبلة للعلماء والمتعلمين ويغزى ذلك لنفس العوامل التي ارتقت بالحركة الفكرية الدولة الرستمية فقد حث حكامها أيضا على نيل العلوم والتوسع فيها وتقربوا من العلماء وقربوهم واتخذوا لهم مكانة خاصة مما أغرى على طلب العلم والتنافس فيه وكما شيدوا دور العلم واتفقوا عليها حتى اصبحت الدولة تعج بها كما اشتهرت هذه المرحلة بكثرة المناظرات حتى أن الحكام كانوا يحضرونها وهذا ما يدل على كثرة التبادل الثقافي أما العلوم فانتشرت بنوعيها العقلية منها والنقلية وازدهرت حركة التأليف وساهم في ذلك ظهور الورقة وانتشارها .

وفي غمار هذا التشابه والتقارب في الحركتين والذي تمحور في أن الفصل في نمو الحركتين وازدهارهما يعود لنفس العوامل كعناية الحكام بالعلم وحثهم على الشعر فيه وانتشار دور العلم في

القطرين والاستفادة من الوافدين بالعلوم ونشر العلوم المحلية في الأقطار الأخرى عن طريق الرحلة العلمية والتجارة مما خلف تبادلا ثقافيا .

أما عن محور الاختلاف فقد تمحور في بعض الجزئيات التي ترجع في جلها إلى العامل الزمني فمثلا اختلفت في المؤسسات التعليمية في الدولتين فلم تعرف الدولة الرستمية المدرسة كونها لم تكد تتبلور في المشرق الاسلامي الذي كان مصدرا علوم بلاد المغرب في تلك الحقبة، كما تميزت المرأة الرستمية عن نظيرتها الزيانية فكانت لها بصمتها الخاصة والدور الفعال في احياء النهضة العلمية ففتحت بينها لمجالس العلم وعكفت على النهل من العلوم ولم يقتصر ذلك على فئة دون أخرى من النساء بينما لم يكن الشأن نفسه بالنسبة للمرأة الزيانية التي عرفت اهتماما بالمظاهر الاجتماعية واقتصر طلب العلم على نساء العلية من القوم، كما ظهرت علوم جديدة عند الزيانيين بفضل العامل الزياني الذي يؤثر فيه التطور حيث ظهر التصوف والعلوم الميكانكية التي لم تعرف عند الرستميين .

وبهذا نكون قد عرجنا على أهم أوجد الشبه والاختلاف في المجال العلمي للدولتين .

الفهارس

فهرس الملاحق

فهرس الموضوعات

فهرس الملاحق :

رقم الملحق	اسم الملحق	الصفحة
01	خريطة الدولة الرستمية	74
02	جدول العلماء حسب الفترات	75
03	علماء جبل نفوسة	76
04	خريطة تمثل سير رحلة طلب العلم	77
05	الرحلات العلمية لعلماء تلمسان	78
06	جدول لعلماء تلمسان والعلوم التي نبغوا فيها	79
07	المؤلفات العلمية لعلماء تلمسان	80

فهرس الموضوعات

الموضوعات **الصفحة**

الإهداء

شكر وعرفان

قائمة المختصرات

مقدمة 1-5

الفصـل الأول: معالم الحياة الفكرية في الدولة الرستمية

المبحث الأول : تأسيس الدولة الرستمية وحدودها..... 7-12

المطلب الأول: تأسيس الدولة الرستمية..... 7-11

المطلب الثاني: حدودها..... 11-12

المبحث الثاني: عوامل ازدهار الحركة الفكرية في الدولة الرستمية 13-21

المطلب الأول: عناية السلطة بالعلم والمعرفة 13-15

المطلب الثاني: انتشار المؤسسات التعليمية..... 15-19

المطلب الثالث: التبادل الثقافي 19-21

المبحث الثالث: العلوم المتداولة وأبرز أعلامها..... 22-26

المطلب الأول: العلوم النقلية وأبرز أعلامها 22-23

المطلب الثاني: العلوم العقلية وأبرز أعلامها..... 23-25

المطلب الثالث: حركة التأليف في العلوم النقلية والعقلية 25-26

الفصـل الثاني: معالم الحياة الفكرية في الدولة الزيانية

المبحث الأول : تأسيس الدولة الزيانية وحدودها..... 28-32

المطلب الأول: تأسيس الدولة الزيانية..... 28-31

المطلب الثاني: حدودها..... 31-32

المبحث الثاني: عوامل ازدهار الحركة الفكرية في الدولة الزيانية 33-39

المطلب الأول: عناية السلطة بالعلم والمعرفة..... 33-34

المطلب الثاني: انتشار المؤسسات التعليمية..... 35-37

المطلب الثالث: التبادل الثقافي 38-39

المبحث الثالث: العلوم المتداولة وأبرز أعلامها..... 47-40
المطلب الأول: العلوم النقلية وأبرز أعلامها 42-40
المطلب الثاني: العلوم العقلية وأبرز أعلامها..... 45-43
المطلب الثالث: حركة التأليف في العلوم النقلية والعقلية 47-45
الفصل الثالث: دراسة مقارنة
المبحث الأول : أوجه الشبه 60-49
المطلب الأول: عناية السلطة بالحياة الفكرية 50-49
المطلب الثاني : بيوتات العلم 55-50
المطلب الثالث: التبادل الثقافي على الدولتين 57-55
المطلب الرابع: التأثير المذهبي على الحياة الفكرية..... 60-58
المبحث الثاني: أوجه الاختلاف 69-61
المطلب الأول: المؤسسات التعليمية..... 62-61
المطلب الثاني: دور المرأة في الحياة الفكرية 65-63
المطلب الثالث: العلوم في الدولتين 66-65
المطلب الرابع: تأثير الظروف السياسية على الحياة الفكرية 69-67
الخاتمة 72-70
الملاحق 80-73
قائمة البيبليوغرافيا..... 86-81
89-87

فهـــارس

فهرس الملاحق 91-91
فهرس الموضوعات 93-92